أثر دلالة السياق القرآني في رد بدع التفاسير

الباحث

د/ محمود إبراهيم إبراهيم عبد الله النفاض

مدرس التفسير وعلوم القرآن

في كلية أصول الدين بالقاهرة

جامعة الأزهر - جمهورية مصر العربية

أثر دلالة السياق القرآني في رد بدع التفاسير

محمود إبراهيم إبراهيم عبد الله النفاض
قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين بالقاهرة، جامعة الأزهر، مصر.
البريد الإلكتروني: elnafad2011@gmail.com

ملخص البحث

إن هذه الأقوال التي دونت في تفاسير الفرق الإسلامية، وتلك الإسرائيليات الباطلة، لا تصمد أمام دلالة سياق القرآن الكريم، التي تدل على المعنى المراد بجلاء ووضوح، بعيدًا عن تأويل الجاهلين وانتحال المبطلين.

ومن ثم جاء هذا البحث رغبة مني في إبراز أهمية دلالة السياق في تفسير القرآن الكريم، وإظهار المعنى الصحيح لبعض الآيات القرآنية التي تعمد البعض صرفها عن سياقها، لكي تكون سندًا لهم في نشر أفكارهم بين عوام الناس.

وقد قسمت البحث إلى مقدمة ومطلبين وخاتمة، واتبعت في هذا البحث المنهج التكاملي (الاستقرائي – التحليلي – النقدي – المقارن) وذلك للتعريف بدلالة السياق القرآني وذكر أنواعها وبيان أهميتها في تفسير القرآن الكريم، ثم إيراد بعض الآيات القرآنية التي ابتدع بعض المفسرين تفسيرًا لها يخالف دلالة سياقها، وذكر التفسير الصحيح المتسق مع سياقها.

وكان من أهم نتائج البحث:

أولًا: أن دلالة السياق أدق وأعم بإطلاق من دلالة السباق واللحاق؛ إذ السياق قد يكون بالسباق واللحاق جميعًا، وقد يكون بأحدهما فقط.

ثانيًا: أن دلالة السياق القرآني تتنوع إلى أربعة أنواع: دلالة سياق الآية القرآنية، ودلالة سياق المقطع القرآني، ودلالة سياق السورة القرآنية، دلالة السياق العام للقرآن الكريم.

ثالثًا: أن دلالة السياق القرآني تعد من تفسير القرآن بالقرآن، وذلك أول وأهم مصادر التفسير على الإطلاق.

رابعًا: أن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام والتابعين بإحسان اعتبروا دلالة السياق القرآني في تفسير القرآن الكريم.

خامسًا: أن العلماء قديمًا وحديثًا استخدموا دلالة السياق القرآني في تفسير القرآن الكريم، وفي ترجيح أحد الأقوال على غيرها، وفي توجيه متشابه النظم القرآني، وفي رد بدع التفاسير.

سادسًا: أن تدبر آيات القرآن الكريم وتأمل سياقها يؤدي إلى رد الأقوال الباطلة التي وردت في بعض التفاسير.

الكلمات المفتاحية: أثر ، دلالة ، السياق ، رد، بدع، التفاسير.

The impact of the significance of the Qur'anic context on the response to bid'ah interpretations

Mahmoud Ibrahim Ibrahim Abdullah Al-nafad
Department of interpretation and Quranic Sciences, Faculty of origins of religion in Cairo, Al-Azhar University, Egypt.
E-mail: elnafad2011@gmail.com

Abstract

These statements, which are recorded in the interpretations of the Islamic divisions, and those false statements, do not withstand the significance of the context of the Holy Qur'an, which indicates the intended meaning clearly and clearly, away from the interpretation of the ignorant and the impersonation of the invalidators.

Hence, this research came out of my desire to highlight the importance of context in interpreting the Holy Quran, and to show the correct meaning of some Quranic verses that some deliberately took out of context, in order to be a support for them in spreading their ideas among the general public.

In this research, I followed the Integrative (inductive – analytical – critical – comparative) approach in order to define the significance of the Quranic context, mention its types and indicate its importance in the interpretation of the Holy Quran, then mention some Quranic verses that some interpreters have invented an interpretation that contradicts the significance of its context, and mention the correct interpretation consistent with its context.

One of the most important results of the research was:

Firstly, the context's connotation is more precise and general than the connotation of racing and catching up, because the context may be to race and catch up with all of them, and it may be just one of them.

Secondly, the significance of the Quranic context varies into four types: the significance of the context of the Quranic verse, the significance of the context of the Quranic passage, the significance of the context of the Quranic Surah, and the significance of the general context of the Holy Quran.

Thirdly: the significance of the Quranic context is considered from the interpretation of the Qur'an by the Qur'an, and this is the first and most important source of interpretation at all.

Fourth: the Holy Prophet (peace and blessings of Allaah be upon him) and his companions and followers considered the significance of the Quranic context in the interpretation of the Holy Qur'an.

Fifth: ancient and modern scholars have used the significance of the Quranic context in the interpretation of the Holy Quran, in the weighting of one statement over others, in the guidance of similar Quranic systems, and in the response to the heresy of interpretations.

Sixth: to study the verses of the Holy Qur'an and hope for their context leads to the response of the false statements contained in some interpretations.

Keywords: Impact , Connotation , Context, Response, Fads, Interpretations.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيد الخلق وأشرف المرسلين وخاتم النبيين ورحمة الله للعالمين سيدنا محمد الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه والتابعين ومن سار على نهجه واقتفى أثره إلى يوم الدين، وبعد:

فإن القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى الخالدة لرسولنا الهادي البشير النذير، تحدى به أرباب الفصاحة وأساطين البلاغة، فعجزوا عن الإتيان بسورة مثله، وأيقنوا أنه ليس كلام المخلوقين، بل هو كلام رب العالمين، فمنهم من أشرق نور القرآن في قلبه فصار من المؤمنين، ومنهم من ظل في غيابات العناد والتقليد لآبائه الضالين.

ولما كان القرآن العظيم عمود النبوة وآية الرسالة بين رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لأصحابه الكرام ما احتاجوا إلى بيان معناه؛ إذ إن هذا البيان من أهم وظائفه التي كُلف بها، يدل على ذلك قوله تعالى: "وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ"[سورة النحل: ٤٤]، وسار على الدرب علماء الصحابة والتابعين، فبينوا للناس ما يحتاجون إليه من تفسير آيات الكتاب الحكيم، لا سيما بعد اتساع الفتوحات الإسلامية واختلاط العرب بغيرهم، مما أدى إلى مزيد العناية بتفسير القرآن الكريم.

ومع هذه العناية بالتفسير نشأت الفرق الإسلامية، وحاولت أن تستنبط من القرآن الكريم ما يوافق معتقداتها، فقام علماء هذه الفرق بلي أعناق النصوص لتوافق مذاهبهم، وتناقل أتباع هذه الفرق أقوالهم رغبة في نشر مبادئهم، وفي الوقت نفسه تسللت الإسرائيليات المكذوبة إلى بعض كتب التفسير بالمأثور، وانخدع بها بعض الخطباء والوعاظ فنشروها على المنابر، حرصًا على

استجلاب دهشة عوام الناس وثنائهم.

لكن هذه الأقوال التي دونت في تفاسير هذه الفرق، وتلك الإسرائيليات الباطلة، لا تصمد أمام دلالة السياق القرآني، التي تدل على المعنى المراد بجلاء ووضوح، بعيدًا عن تأويل الجاهلين وانتحال المبطلين.

ومن ثم شرعت في كتابة هذا البحث، تحت عنوان: **أثر دلالة السياق القرآني في رد بدع التفاسير**، رغبة مني في إبراز أهمية دلالة السياق في تفسير القرآن الكريم، وإظهار المعنى الصحيح لبعض الآيات القرآنية التي تعمد البعض صرفها عن سياقها، لكي تكون سندًا لهم في نشر أفكارهم بين عوام الناس.

أسباب اختياري هذا الموضوع:

وقد وقع اختياري على هذا الموضوع للأسباب الآتية:

١) الأهمية الكبيرة لدلالة السياق في تفسير القرآن الكريم؛ إذ مراعاة هذه الدلالة تعصم المفسر من الوقوع في بدع التفاسير.

٢) إظهار التفسير الصحيح لبعض الآيات القرآنية التي لم يراع بعض الكاتبين في التفسير سياقها، ومن ثم انحرفوا عن الجادة في بيان معانيها.

٣) التأكيد على أهمية أصول التفسير لمن يتصدى لتفسير القرآن الكريم، حتى لا ينحرف عن الصراط المستقيم.

الدراسات السابقة:

لم يتناول أحدٌ – في حدود اطلاعي – هذا الموضوع – أثر دلالة سياق القرآن الكريم في رد بدع التفاسير – في بحث مستقل، لكني وجدت الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري في كتابه "بدع التفاسير" ينتقد بعض أقوال المفسرين، ويحكم عليها بالبدعية؛ لأنها تخالف دلالة السياق القرآني، دون أن يفصِّل القول

في ذلك(١).

ملامح المنهج الذي اتبعته في البحث:

اتبعت في هذا البحث المنهج التكاملي (الاستقرائي – التحليلي – النقدي – المقارن) وذلك للتعريف بدلالة السياق القرآني وذكر أنواعها وبيان أهميتها في تفسير القرآن الكريم، ثم إيراد بعض الآيات القرآنية التي ابتدع بعض المفسرين تفسيرًا لها يخالف دلالة سياقها، وذكر التفسير الصحيح المتسق مع سياقها.

خطة البحث: وقد قسمت البحث إلى مقدمة ومطلبين وخاتمة.

أما المقدمة: فقد ذكرت فيها أسباب اختياري للموضوع، وملامح المنهج العلمي الذي اتبعته فيه، ورسم خطته الفنية.

وأما المطلب الأول: فتضمن التعريف بدلالة السياق القرآني وذكر أنواعها وبيان أهميتها في تفسير القرآن الكريم.

وأما المطلب الثاني: فتضمن أمثلة لأثر دلالة السياق القرآني في رد بدع التفاسير.

وأما الخاتمة ففيها أهم ما توصل إليه البحث من نتائج، وأهم المقترحات، وأهم المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

وبعد، فهذا عملي في البحث، بذلت فيه – حسب ظني – قصارى جهدي محاولة للوصول به إلى المستوى المنشود، فإن وفقت إلى تحقيق ذلك فهذا من فضل ربي، وإن كانت الأخرى فحسبي أني اجتهدت، والخير أردت، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، وصلى الله وسلم وبارك على نور الوجود سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) ينظر: بدع التفاسير (صـ ٧٠، ٧٢، ٨٠، ٨١، ٨٦).

المطلب الأول
دلالة السياق القرآني وأنواعها وأهميتها في التفسير

يجدر بي قبل أن أتعرض لأثر دلالة سياق القرآن الكريم في نقض بدع التفاسير أن أذكر التعريف بدلالة السياق القرآني، وأن أوضح أنواع هذه الدلالة، وأن أبين أهمية تلك الدلالة في تفسير القرآن الكريم؛ فأقول وبالله التوفيق:

الدلالة في اللغة: مصدر الفعل (دلَّ) يقال: "دل فلان إذا هدى، ودل إذا افتخر، والدَّلَّة: المنة، قال ابن الأعرابي: دل يَدُل إذا هدى، ودل يدِل إذا منّ بعطائه، والأدَلُّ: المنان بعمله"(١).

والدلالة عند المناطقة: تطلق بالاشتراك على معنيين:

الأول: كون الشيء بحيث يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والمراد من الشيء الأول الدالُّ، ومن الثاني المدلول، أي: كون الدالِّ بحيث يمكن أن يفهم منه المعنى سواءً فهم بالفعل أو لم يفهم.

الثاني: فهمُ أمر من أمر، أي فهم مدلول من دالٍّ، أي: فهم المعنى من الدال بالفعل سواءٌ أكان الدال لفظًا أم غيره(٢).

والفرق بين التعريفين واضح؛ ففي الوقت الذي لا يشترط التعريف الأول فهم المعنى من الدالِّ بالفعل، يؤكد التعريف الثاني على فهم المعنى بالفعل، لذلك هو أخص من الأول، وهو الأنسب بعنوان " دلالة سياق القرآن الكريم"، مع ملاحظة أن الدالَّ في دلالة سياق القرآن الكريم دلالة لفظية على الراجح.

والسياق في اللغة: السرد والتتابع، يقول ابن منظور: "انساقت وتَساوَقت

---

(١) لسان العرب (٢٤٨/١١) مادة: دلل.

(٢) تيسير شرح الملوي على السلم في المنطق صـ ١٤.

الإبل تَساوُقًا إذا تتابعت، وكذلك تَقَاودَت فهي مُتقَاودة ومُتَساوِقة. وفي حديث أمّ مَعبَد[١]: "فجاء زوجُها يسوق أَعنُزًا ما تَسَاوَق"[٢] أي: ما تَتَابَع. والمساوَقة: المتابَعة كأن بعضها يسوق بعضًا، والأصل في تساوَق تتساوق، كأنها لضعفها وفرط هزالها تتخاذل ويتخلف بعضها عن بعض. وساق إليها الصداق والمهر سياقًا وأساقه، وإن كان دراهم أو دنانير، لأن أصل الصداق عند العرب الإبل، وهي التي تُساق، فاستعمل ذلك في الدرهم والدينار وغيرهما، وساق فلان من امرأته أي أعطاها مهرها. والسياق: المهر. وفي الحديث: " أنه رأى بعبد الرحمن وَضَرًا من صفرة[٣] فقال: مَهْيَم[٤]، قال: تزوجت امرأة من الأنصار، فقال: ما سقت إليها؟"[٥] أي: ما أمهرتها، قيل للمهر سوق لأن العرب كانوا إذا تزوجوا ساقوا الإبل والغنم مهرا لأنها كانت الغالب على أموالهم..."[٦].

---

(١) عاتكة بنت خالد بن خليف بن منقذ من خزاعة، صاحبة الخيمة التي نزل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والصديق حين هاجرا. تنظر الترجمة في : الطبقات الكبرى لابن سعد (٢٢٥/٨)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (١٩٥٨/٤)، أسد الغابة لابن الأثير (١٨٠/٧).

(٢) أخرج الطبراني نحوه في المعجم الكبير (٤٨/٤) ح: ٣٦٠٥، وكذلك الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب الهجرة (١٠/٣) ح: ٤٢٧٤، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي في التلخيص.

(٣) أي: لطخًا من خلوق، أو طيب له لون، وذلك من فعل العروس إذا دخل على زوجته اهـ النهاية في غريب الحديث والأثر (١٩٦/٥) مادة: وضر.

(٤) كقولك: ما وراءك وهي كلمة يمانية اهـ الفائق في غريب الحديث والأثر (٦٥/٤).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب: إخاء النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار (٣١/٥)ح: ٣٧٨١

(٦) لسان العرب (١٦٦/١٠) مادة: سوق.

ويقول الزمخشري: "ومن المجاز: ساق الله إليه خيرًا، وساق إليها المهر، وساقت الريح السحاب، وأردت هذه الدار بثمن، فساقها الله إليك بلا ثمن، والمحتضر يسوق سياقًا، وفلان في ساقة العسكر: في آخره وهو جمع سائق كقادة في قائد، وهو يساوقه ويقاوده، وتساوقت الإبل: تتابعت، وهو يسوق الحديث أحسن سياق، و"إليك يساق الحديث"، وهذا الكلام مساقه إلى كذا، وجئتك بالحديث على سوقه: على سرده"(١).

وفي المعجم الوسيط: " السِّيَاق: المهر، وسِيَاق الكَلام: تتابعه وأسلوبه الَّذِي يجْرِي عليه "(٢).

ومما سبق أجد أن أغلب استعمالات السياق تدور حول التتابع والتوالي والاتصال؛ فسوق الإبل تتابعها وتواليها واتصالها ببعضها، والسياق مهر المرأة لأنه في الأصل إبل تساق إليها متتابعة، وسياق الكلام تتابعه وتواليه واتصال بعضه ببعض.

أما السياق في الاصطلاح فقد عرفه كثيرون أبرزهم الشيخ عبد الرحمن البناني(٣) – رحمه الله– حيث يقول: " قرينة السياق: ما يدل على خصوص المقصود من سابق الكلام المسوق لذلك أو لاحقه"(٤).

ويعرف الباحث عبد الحكيم القاسم دلالة السياق في التفسير بأنها: " بيان

---

(١) أساس البلاغة (٤٨٤/١) مادة: سوق.

(٢) المعجم الوسيط، باب السين (٤٦٥/١).

(٣) هو عبد الرحمن بن جاد الله البنَّاني المغربي، فقيه أصولي، قدم مصر وجاور بالأزهر، له حاشية على شرح المحلى في أصول الفقه في جزأين والبناني نسبة إلى بنانة (من قرى منستير بإفريقية). ينظر: الأعلام للزركلي (٣٠٢/٣)

(٤) حاشية البناني على شرح الجلال المحلي على متن جمع الجوامع (٢٠/١).

اللفظ أو الجملة في الآية بما لا يخرجها عن السابق واللاحق إلا بدليل صحيح يجب التسليم به"(١).

ولا داعي لذكر كل تعريفات المعاصرين لدلالة السياق القرآني؛ لأنها لا تخرج عن هذا المعنى المذكور من جهة، ولأنها تدور حول بيان معاني القرآن الكريم من خلال تتابع المفردات والجمل القرآنية، أو بيان المفردات والجمل القرآنية من خلال سباقها ولحاقها.

وقد أشار شيخنا العلامة إبراهيم خليفة – رحمه الله – إلى أن دلالة السياق أدق وأعم بإطلاق من دلالة السباق واللحاق؛ إذ السياق قد يكون بالسباق واللحاق جميعًا، وقد يكون بأحدهما فقط.

ثم يذكر شيخنا – رحمه الله – ما يدل على ذلك، وهو هاتان الجملتان الكريمتان من كلام الكبير المتعال: "وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ"[الحديد: ٤]، "وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا" [المجادلة: ٧] فإنك إذا قرأتهما تبين لك بجلاء أن المعية فيهما محمولة على المعية العامة التي يراد بها إحاطة العلم، وذلك من خلال دلالة السياق – السباق واللحاق – ألا ترى أن سياق هاتين الجملتين حديث عن إحاطة علمه تعالى، حيث قال جل ذكره في سباق أولاهما: "يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا" [الحديد: ٤] وقال سبحانه في سباق ثانيتهما: " أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ" [المجادلة: ٧] هذا بالنسبة لسباق الجملتين الكريمتين، وأما لحاقهما فإنك تقرأ في لحاق أولاهما: "وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ" [الحديد: ٤] وتقرأ في لحاق ثانيتهما: " ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ

(١) دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير صـ ٦٢.

بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" [المجادلة: ٧].

وهناك جملتان أخريان وهما قوله تعالى: "إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا"[التوبة: ٤٠] وقوله: "وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ" [العنكبوت: ٦٩] فإنك إذا قرأتهما وجدت أن المعية فيهما تحمل على المعية الخاصة التي يقصد بها النصرة والتأييد والهداية، وذلك من خلال دلالة السياق أيضًا؛ فإن سياق الجملتين الكريمتين حديث عن النصرة والتأييد والهداية، ألا ترى أن سبـــاق الأولى: "إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ"[التوبة: ٤٠] وسباق الثانية: "وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا" [العنكبوت: ٦٩]، ولحاق الأولى: "فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا" [التوبة: ٤٠] وأما الثانية فلا لحاق لها لكونها خاتمة السورة كما هو ظاهر(١).

ومما سبق يتبين لي أن دلالة السياق القرآني تتنوع إلى أربعة أنواع:

أولها: دلالة سياق الآية القرآنية: ويراد بها دلالة سياق القرآنية نفسها – سباقها ولحاقها – أو سباقها فقط أو لحاقها فقط، دون تجاوز ذلك إلى ما سبقها أو لحقها من آيات، لتحديد المعنى المراد لأحد المفردات في الآية الكريمة(٢).

وقد نقلت عن شيخنا العلامة إبراهيم خليفة – رحمه الله – في الصفحة السابقة أن المعية في آيتي الحديد والمجادلة هي المعية العامة، المراد بها إحاطة العلم، بناء على دلالة سياق الآيتين الكريمتين – سباقهما ولحاقهما – وأن المعية في آيتي التوبة والعنكبوت هي المعية الخاصة، التي يراد بها النصرة والتأييد والهداية، بناء على دلالة سياق الآيتين الكريمتين – سباق الأولى ولحاقها وسباق الثانية فقط – وهذا كله من دلالة سياق الآية الكريمة دون

---

(١) ينظر: دراسات في مناهج المفسرين صـ ٢١٩.

(٢) ينظر: السياق القرآني وأثره في التفسير صـ ١٠٦.

تجاوز إلى ما سبقها أو لحقها من آيات السور القرآنية المذكورة.

فإذا أردت دليلًا على الاستشهاد بلحاق الآية فقط فإليك ما ذكره الحافظ ابن كثير في تفسير قول الله تعالى: " فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ"[آل عمران: ١٥٩] حيث يقول: " والفظ الغليظ، والمراد به هاهنا غليظ الكلام؛ لقوله بعد ذلك: "غَلِيظَ الْقَلْبِ" أي: لو كنت سيء الكلام، قاسي القلب عليهم، لانفضوا عنك وتركوك، ولكن الله جمعهم عليك، وألان جانبك لهم تأليفًا لقلوبهم"(١).

فأنت ترى أنه ذكر دلالة كلمة "الفَظِّ" اللغوية وأنها بمعنى الغليظ، وهذه الدلالة تشمل غليظ اللسان وغليظ القلب، لكنه اكتفي عند بيان المراد بأحدهما، وهو غليظ الكلام؛ بناء على لحاق الآية الكريمة، التي ورد فيها بعد ذلك "غَلِيظَ الْقَلْبِ".

ثانيها: دلالة سياق المقطع القرآني: ويراد بها دلالة سياق المقطع القرآني متعدد الآيات متحد الغرض، دون تجاوز إلى مقطع آخر قبله أو بعده، من مقاطع السورة الكريمة.

ومن المتعارف عليه بين أهل العلم بالقرآن العظيم، أن كل سورة قرآنية تتضمن مقاطع متحدة المعاني، مترابطة المباني، لها أغراض محددة، وهذه الأغراض متنوعة في ظاهرها، متناسقة في جوهرها، تتلاحم حتى توصل إلى الغرض الرئيس للسورة، أو ما يعرف بالروح العام للسورة.

وقد نص علامة الأزهر الشريف الدكتور محمد عبد الله دراز – رحمه الله – على تناسق الأغراض داخل السورة الواحدة لتؤدي غرضًا واحدًا هو المحور العام للسورة، فقال: " .... ولماذا نقول: إن هذه المعاني تتسق في السورة كما

(١) تفسير القرآن العظيم (٢/١٣٠)

تنتسق الحُجُرات في البينان؟ لا، بل إنها لتلتحم فيها كما تلتحم الأعضاء في جسم الإنسان، فبين كل قطعة وجارتها رباط موضعي من أنفسهما، كما يلتقي العظمان عند الْمَفصل، ومن فوقهما تمتد شبكة من الوشائح تحيط بهما عن كثب، كما يشتبك العضوان بالشرايين والعروق والأعصاب. ومن وراء ذلك كله يسري في جملة السورة اتجاه معين، وتؤدي بمجموعها غرضًا خاصًّا، كما يأخذ الجسم قوامًا واحدًا، ويتعاون بجملته على أداء غرض واحد، مع اختلاف وظائفه العضوية"(١).

وإذا أردت مثالًا على دلالة سياق المقطع القرآني فإليك ما رجحه الإمام الرازي وغيره في تفسير قوله تعالى: "الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ"[البقرة: ٢٢٩] حيث رجح أن معنى التسريح بإحسان أن يترك المطلَّق المراجعة حتى تبين المطلَّقة بانقضاء العدة، لا أن يطلقها الطلقة الثالثة؛ إذ المعنى الأول الراجح هو المناسب لدلالة سياق المقطع القرآني.

يبين الإمام الرازي أن معنى الإمساك بالمعروف: هو أن يراجعها لا على قصد المضارة، بل على قصد الإصلاح والإنفاع، وفي معنى الآية وجهان:

أحدهما: أن توقع عليها الطلقة الثالثة، رُوي أنه لما نزل قوله تعالى: "الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ" قيل له صلى الله عليه وسلم: فأين الثالثة؟ فقال صلى الله عليه وسلم: هو قوله: "أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ".

والثاني: أن معناه أن يترك المراجعة حتى تبين بانقضاء العدة، وهو مروي عن الضحاك والسدي.

واعلم أن هذا الوجه هو الأقرب لوجوه أحدها: أن الفاء في قوله: "فَإِنْ طَلَّقَهَا"[البقرة: ٢٣٠] تقتضي وقوع الطلقة متأخرة عن ذلك التسريح، فلو كان

(١) النبأ العظيم صـ ١٩٥، ١٩٦.

المراد بالتسريح هو الطلقة الثالثة، لكان قوله: فإن طلقها طلقة رابعة وإنه لا يجوز[١].

فإن قلتَ: إن البيان النبوي يدل على أن التسريح بإحسان هو الطلقة الثالثة، ولا عدول عن هذا البيان لترجيح مرجح كائنًا من كان.

قلتُ: ضَعَّف الإمام الدارقطني وغيره هذا الحديث؛ فقال: "يرويه ليث بن حماد الصفَّار، عن أبي عَوانة، عن إسماعيل بن سُميع، عن أنس، ووَهِم فيه، وإنما رواه إسماعيل بن سُميع، عن أبي رَزين الأَسْدي مرسلًا"[٢].

وقال الكيا الهراسي: " وقوله تعالى: "أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسانٍ"، فقد قيل فيه قولان: أن المراد به الثالثة، ورووا عن أبي رزين أنه قال رجل: يا رسول الله، أسمع الله تعالى يقول: "الطَّلاقُ مَرَّتانِ فَإِمْساكٌ بِمَعْرُوفٍ" فأين الثالثة؟ فقال: أو تسريح بإحسان، وهذا الخبر غير ثابت من طريق النقل. وقال الضحاك والسدي إنه بتركها حتى تنقضي عدتها، ويظهر هذا المعنى في موضع آخر في قوله: "وَإِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ"[البقرة: ٢٣١] والمراد التسريح بترك الرجعة إذ يبعد أن يقول: طلقوا واحدة أخرى وقال: "فَإِذا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ"[الطلاق: ٢] ولم يرد به إيقاعًا مستقبلًا، وإنما أراد به تركها حتى تنقضي عدتها .. نعم، الثالثة مذكورة في مساق الخطاب في قوله تعالى: "فَإِنْ طَلَّقَها فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ" [البقرة:٢٣٠] فالثالثة مذكورة في صلة هذا الخطاب، مفيدة للبينونة الموجبة التحريم، إلا بعد زوج، ووجب حمل قوله تعالى: "أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسانٍ" على فائدة مجددة، وهي وقوع البينونة

---

(١) مفاتيح الغيب (٦/٤٤٣).

(٢) علل الدارقطني= العلل الواردة في الأحاديث النبوية (٧/٣٥).

بالثنتين عند انقضاء العدة"[1].

وبذلك يتبين أن الإمامين الجليلين رجحا المراد بالتسريح بإحسان بناء على دلالة سياق المقطع القرآني، الذي تناول بعض أحكام الطلاق في سورة البقرة، واستشهاد الإمام الكيا الهراسي بآية سورة الطلاق من باب تأكيد ما ذهب إليه، وليس من باب التأسيس.

ثالثها: دلالة سياق السورة القرآنية: ويراد بها دلالة سياق السورة القرآنية التي تتلاحم مقاطعها حتى توصل إلى الغرض الرئيس للسورة، أو ما يعرف بالروح العام للسورة الكريمة، دون تجاوز إلى سورة أخرى قبلها أو بعدها من سور القرآن الكريم.

وقد اتفق المحققون على أن لكل سورة قرآنية محورًا عامًّا تدور حوله مقاطع السورة، وأن هذا الغرض الرئيس للسورة يستخلص من سياقها العام، وأن الروح العام للسورة مصدر وثيق من مصادر تعيين المعنى المقصود لبعض المفردات والتراكيب القرآنية.

يقول العلامة الدكتور محمد عبد الله دراز – رحمه الله – : " إنك لتقرأ السورة الطويلة المنجمة يحسبها الجاهل أضغاثًا من المعاني حشيت حشوًا، وأوزاعًا من المباني جمعت عفوًا؛ فإذا هي –لو تدبرت– بنية متماسكة قد بنيت من المقاصد الكلية على أسس وأصول، وأقيم على كل أصل منها شعب وفصول، وامتد من كل شعبة منها فروع تقصر أو تطول؛ فلا تزال تنتقل بين أجزائها كما تنتقل بين حجرات وأفنية في بنيان واحد قد وضع رسمه مرة واحدة، لا تحس بشيء من تناكر الأوضاع في التقسيم والتنسيق، ولا بشيء من الانفصال في الخروج من طريق إلى طريق، بل ترى بين الأجناس المختلفة

(١) أحكام القرآن (١/١٧٣).

تمام الألفة، كما ترى بين آحاد الجنس الواحد نهاية التضامِّ والالتحاق. كل ذلك بغير تكلفة ولا استعانة بأمر من خارج المعاني أنفسها، وإنما هو حسن السياقة ولطف التمهيد في مطلع كل غرض ومقطعه وأثنائه، يريك المنفصل متصلًا، والمختلف مؤتلفًا"(١).

ومما يستشهد به على دلالة سياق السورة القرآنية، ما ذكره شيخ المفسرين ابن جرير الطبري، عند تفسير قوله تعالى: " وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ"[الصافات: ١٥٨] حيث ذكر قولين في المراد بالإحضار، أولهما: الإحضار للعذاب، ثانيهما: الإحضار لمشاهدة الحساب، ثم رجح أولهما فقال: " وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: إنهم لمحضرون العذاب، لأن سائر الآيات التي ذكر فيها الإحضار في هذه السورة، إنما عُنِيَ به الإحضار في العذاب، فكذلك في هذا الموضع"(٢).

فقد استدل – طيب الله ثراه – على هذا الترجيح بسياق السورة القرآنية، التي ورد فيها الإحضار مرتين قبل هذه الآية: أولهما: " وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ"[الصافات: ٥٧]، ثانيهما: "فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ"[الصافات: ١٢٧] والإحضار في الموضعين أريد به الإحضار للعذاب؛ فيكون الإحضار في الآية الأخيرة بمعناهما؛ بناء على سياق السورة القرآنية.

رابعها: دلالة السياق العام للقرآن الكريم: ويراد به الأغراض والمقاصد الأساسية للقرآن الكريم، ومعانيه الكلية، وأساليبه المطردة(٣).

ومقاصد القرآن الكريم ثلاثة مقاصد رئيسة: أولها: أن يكون هداية

---

(١) النبأ العظيم صـ ١٩٥.

(٢) جامع البيان (١٢٢/٢١).

(٣) السياق القرآني وأثره في التفسير صـ ١١٧.

للثقلين، وثانيها: أن يقوم آية لتأييد النبي صلى الله عليه وسلم، وثالثها: أن يتعبد الله خلقه بتلاوة هذا الطراز الأعلى من كلامه المقدس(١).

ومعاني القرآن الكريم الكلية وأساليبه المطردة واضحة لكل من تدبره وغاص في مبانيه ومعانيه، فإذا خالف المفسر المقاصد العليا، أو المعاني الكلية، أو الأساليب المطردة، فقد وقع في بدع التفاسير.

ومن ذلك ما دونه بعض المفسرين من تفاصيل في تفسير آيات القصص القرآني، وهذه التفاصيل لا يضر الجهل بها؛ لأن الغرض الأسمى من قصص القرآن الكريم أن يكون عبرة لأولي الألباب، وهذه العبرة تتحقق دون خوض غمار هذه الجزئيات؛ إذ لو توقفت عليها العظة لذكرها منزل القرآن الحكيم بلا ريب.

وإذا أردت مثالًا يوضح المراد فراجع ما ذكره بعض المفسرين في تفسير قول الله تعالى: "إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ" الآيات [المائدة: ١١٢: ١١٥] وسترى كلامًا كثيرًا عما كان على المائدة من أصناف الطعام(٢)، ولا داعي لذكر كل هذه الروايات، إذ ليست مناط العبرة، والعلم بها لا ينفع، والجهل بها لا يضر، ولذلك قال شيخ المفسرين ابن جرير – معقِّبا –: " وأما الصواب من القول فيما كان على المائدة، فأن يقال: كان عليها مأكول. وجائز أن يكون كان سمكًا وخبزًا، وجائزٌ أن يكون كانَ ثمرًا من ثمر الجنة، وغيرُ نافع العلم به، ولا ضارّ الجهل به، إذا أقرَّ تالي الآية بظاهر ما احتمله التنزيل"(٣).

---

(١) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن (١٢٤/٢).

(٢) ينظر: جامع البيان (٢٢٧/١١)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١٢٤٥/٤)، الكشف والبيان (١٢٨/٤).

(٣) جامع البيان (٢٣٢/١١).

وقد دون بعض المفسرين أقوالًا تخالف المعاني التي تتفق واللسان العربي المبين، الذي نزل به الذكر الحكيم، والصواب أن يحمل اللفظ القرآني على المعنى الحقيقي المعهود من كلام العرب، إلا إذا قامت قرينة تصرفه عن هذا المعنى.

ومن ذلك ما ذكروه من أقوال في معنى " وَفَارَ التَّنُّورُ"[هود: ٤٠]، وهي أقوال تخالف اللسان العربي، إلا قولًا واحدًا معروفًا في لغة العرب، وهو أن التنور هو الموضع الذي يخبز فيه، ولذلك قال الإمام الرازي – بعد ذكر هذه الأقوال – : " فإن قيل: فما الأصح من هذه الأقوال؟ قلنا: الأصل حمل الكلام على حقيقته، ولفظ التنور حقيقة في الموضع الذي يخبز فيه، فوجب حمل اللفظ عليه "[(١)].

إذا تمهد لك ما سبق من بيان المقصود من دلالة سياق القرآن الكريم وأنواعها، فإني أختصر حديثي عن أهميتها في التفسير من خلال النقاط الآتية:

أولًا: دلالة سياق القرآن الكريم تعد من تفسير القرآن بالقرآن، وذلك أول وأهم مصادر التفسير على الإطلاق، أما كون دلالة السياق القرآني من تفسير القرآن بالقرآن فهذا ظاهر بين؛ إذ السياق القرآني بأنواعه الأربعة المذكورة آنفًا قرآن، واللفظ الذي يبحث المفسر عن معناه في ضوء دلالة السياق قرآن، أي: أن المبيَّن وما به البيان قرآن، ولذلك تعد دلالة السياق القرآني من تفسير القرآن بالقرآن، وفي ذلك يقول شيخنا العلامة إبراهيم خليفة – رحمه الله –: " وإنما عددنا دلالة السياق من هذا الباب – أعني ما كان من تفسير القرآن بالقرآن – لأن كلًّا من المبيَّن وما به البيان فيه قرآن قطعًا، أما المبيَّن فظاهر،

(١) مفاتيح الغيب (٣٤٧/١٧).

وأما ما به البيان فقد بان لك أنه هو الآخر ليس إلا لفظًا قرآنيًّا سابقًا للفظ المبيَّن أو لاحقًا له، وما عمل المفسر هنا إلا مجرد الفطنة والملاحظة لما بين اللفظين من الصلة الخاصة التي تُنزل أحدهما منزلة المبيَّن، وتحل الآخر منزلة البيان"(١).

وأما كون تفسير القرآن بالقرآن أول وأهم مصادر التفسير على الإطلاق، فذلك لمسلمات ثلاث، تفرد بذكرها شيخنا العلامة إبراهيم خليفة – طيب الله ثراه – وهي:

١. أن صاحب البيت أدرى بالذي فيه، وأن خير من يفسر القول هو قائله.

٢. أن من المعلوم من الدين بالضرورة أن القرآن هو الأصل الأول، والعمود الرئيس الذي يقوم عليه بنيان هذا الدين، والذي لا يمكن أن يتحقق الإيمان بدون الأخذ به، والإذعان لجميع ما فيه جملة وتفصيلًا.

٣. أن ذلك من جملة مضمون الأوامر الإلهية العديدة الموجبة لطاعته تعالى، ورد جميع الأمر إليه، من أمثال قوله –عز قائلًا–: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا"[النساء: ٥٩](٢).

ثانيًا: اعتبار الرسول صلى الله عليه وسلم دلالة السياق القرآني في التفسير: ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم استخدام دلالة السياق القرآني في تفسير بعض الآيات، وهذا يدل على أصالة استعمالها منذ عهد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمن ذلك ما أخرجه الإمام الترمذي

---

(١) دراسات في مناهج المفسرين صـ ٢١٨.

(٢) دراسات في مناهج المفسرين صـ ٥٥.

بسنده أن أم المؤمنين عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: سألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية: "وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ" [المؤمنون: ٦٠] قالت عائشة: أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: " لا يا بنتَ الصِّديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون، وهم يخافون أن لا تُقبَل منهم " أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ" [المؤمنون: ٦١][(١)].

فقد استدل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على المعنى المراد بلحاق الآية الكريمة حين سئل عن المقصودين بها، ودلالة السياق سباق ولحاق أو أحدهما فقط.

ثالثًا: استخدام الصحابة والتابعين دلالة السياق القرآني في التفسير:

اعتبر الصحابة الكرام – رضوان الله عليهم – والتابعون الأعلام دلالة السياق القرآني في فهم الآيات الكريمات، ورَدِّ ما أثير حولها من شبهات، فمن ذلك ما أخرجه الإمام الطبري بسنده عن سيدنا علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – عن يُسَيْع الحضرمي[(٢)] قال: كنت عند علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، فقال رجل: يا أمير المؤمنين، أرأيتَ قولَ الله: " وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى

---

(١) أخرجه الترمذي، في أبواب تفسير القرآن، باب: ومن سورة المؤمنون (٣٢٧/٥) ح: ٣١٧٥، وقد أخرج الحاكم في المستدرك نحوه وبدون زيادة الآية في آخره، كتاب التفسير، باب: تفسير سورة المؤمنون (٤٢٧/٢) ح: ٣٤٨٦ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص.

(٢) يسيع بن معدان الحضرمي، ويقال الكندي الكوفي، ويقال فيه يسيع، روى عن علي والنعمان بن بشير، وعنه ذر بن عبد الله المرهبي، قال ابن المديني: معروف، وقال النسائي: ثقة أخرجوا له حديثه عن النعمان "الدعاء هو العبادة"، قلت: وذكره بن حبان في الثقات اهـ تهذيب التهذيب (٣٨٠/١١)

الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا"[النساء: ١٤١]، وهم يقاتلوننا فيَظهرون ويَقتُلون؟ قال له عليّ: ادْنُه، ادْنُهْ! ثم قال: "فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا"[النساء: ١٤١] يوم القيامة(١).

فقد استدل سيدنا علي بن أبي طالب على المعنى المراد بسباق الجملة الكريمة التي توهَّم قارؤها أنها تتنافى مع الواقع أحيانًا، فأخبر السائل بأن الله لن يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلًا يوم القيامة؛ لدلالة ما قبلها "فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"، ودلالة السياق سباق ولحاق أو أحدهما فقط.

وأخرج الإمام ابن أبي حاتم بسنده عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من كان له مال يبلِّغُه حج بيت ربه، أو تجب عليه فيه الزكاة، فلم يفعل سأل الرجعة عند الموت" فقال له رجل: يا ابنَ عباس، اتقِ الله فإنما يسألُ الرجعةَ الكفارُ؛ فقال: سأتلو عليكم بذلك قرآنا: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ الله ....."[المنافقون: ٩] إلى آخر السورة(٢).

فقد رد الحبر على هذا الرجل من خلال سياق الآية الكريمة، التي جاء في سباقها نداء المؤمنين، وهذا دالٌّ على اعتبار دلالة السياق في التفسير عند الصحابة الكرام.

ومن ذلك ما أخرجه الإمام الطبري بسنده عن قتادة(٣) في قوله تعالى: " يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ"[المائدة:

---

(١) جامع البيان (٣٢٧/٩).

(٢) تفسير القرآن العظيم= تفسير ابن أبي حاتم (٣٣٥٧/١٠).

(٣) قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، الحافظ العلامة أبو الخطاب السدوسي البصري الضرير الأكمه المفسر، مات بواسط في الطاعون سنة ثماني عشرة ومائة، وقيل: سنة سبع عشرة ومائة، وله سبع وخمسون سنة. ينظر: تهذيب الكمال (٤٩٨/٢٣)، تذكرة الحفاظ (٩٢/١)، سير أعلام النبلاء (٢٦٩/٥).

١١٦] متى يكون ذلك؟ قال: يوم القيامة، ألا ترى أنه يقول:" هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ"[المائدة: ١١٩][(١)].

فقد أجاب قتادة عن سؤال السائل من خلال لحاق الآية الكريمة، وهذا دليل على اعتبار دلالة السياق القرآني في التفسير عند التابعين.

رابعًا: تنويه العلماء إلى اعتبار دلالة السياق القرآني في التفسير: وردت أقوال العلماء القدامى والمعاصرين منوهة إلى اعتبار السياق القرآني في تفسير القرآن الكريم، وذلك لأن الألفاظ والجمل القرآنية إنما يظهر معناها غالبًا في ضوء سياقها، ومن أقوالهم ما يأتي:

١.قال الإمام البغوي: " ... فأما التأويل وهو صرف الآية إلى معنى محتمل موافق ما قبلها وما بعدها، غير مخالف للكتاب والسنة، من طريق الاستنباط، فقد رخص فيه لأهل العلم"[(٢)].

٢.قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: " السياق مرشد إلى تبيين المجملات، وترجيح المحتملات، وتقرير الواضحات، وكل ذلك بعرف الاستعمال، فكل صفة وقعت في سياق المدح كانت مدحًا، وكل صفة وقعت في سياق الذم كانت ذمًّا، فما كان مدحًا بالوضع فوقع في سياق الذم صار ذمًّا واستهزاءً وتهكمًا بعرف الاستعمال، مثاله: "ذُقْ إِنَّك أَنْت الْعَزِيز الْكَرِيم"[الدخان: ٤٩] أي: الذليل المهان؛ لوقوع ذلك في سياق الذم، وكذلك قول قوم شعيب: "إِنَّك لأَنْت الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ"[هود: ٨٧] أي: السفيه الجاهل؛ لوقوعه في سياق الإنكار عليه، وكذلك: "إِنَّا أَطَعْنا سادَتَنا وَكُبَراءَنا"[الأحزاب: ٦٧]؛ لوقوعه في سياق ذمهم بإضلال الأتباع، وأما ما يصلح للأمرين فيدل على المراد به

---

(١) جامع البيان (٢٣٥/١١).

(٢) معالم التنزيل (٦٧/١).

السياق، كقوله تعالى: "وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ"[القلم: ٤] أراد به عظيمًا في حسنه وشرفه؛ لوقوع ذلك في سياق المدح، وقوله: "إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا" [الإسراء: ٤٠] أراد به عظيما في قبحه؛ لوقوع ذلك في سياق الذم ....."[(١)].

٣. عدَّ الإمام ابن جزي الكلبي دلالة السياق القرآني الوجه السادس من وجوه الترجيح بين أقوال المفسرين فقال: " .... السادس: أن يشهد بصحة القول سياق الكلام ويدل عليه ما قبله أو ما بعده"[(٢)].

٤. يرى الإمام الزركشي أن ما لم يرد فيه نقل عن المفسرين قليل، وأن طريق التوصل إلى فهمه النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب، ومدلولاتها، واستعمالها بحسب السياق، وأن هذا يعتني به الراغب كثيرًا في كتاب المفردات، فيذكر قيدًا زائدًا على أهل اللغة في تفسير مدلول اللفظ؛ لأنه اقتنصه من السياق[(٣)].

٥. بين الشيخ محمد رشيد رضا أن القرآن يُفسَّر بعضُه ببعض، وأن أفضل قرينة تقوم على حقيقة معنى اللفظ: موافقته لما سبق من القول، واتفاقه مع جملة المعنى، وائتلافه مع القصد الذي جاء له الكتاب بجملته[(٤)].

خامسًا: اعتبار دلالة السياق القرآني في الترجيح بين أقوال المفسرين:

اعتمد عدد من المفسرين على دلالة السياق القرآني في الترجيح بين الأقوال المتعددة في التفسير؛ لأن اعتبار السياق أولى من الخروج عنه، وقد عدَّ الإمام

---

(١) الإمام في بيان أدلة الأحكام صـ ١٥٩، ١٦٠.

(٢) مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل (١/١٩).

(٣) البرهان في علوم القرآن، النوع الحادي والأربعون: معرفة تفسيره (٢/١٧٢).

(٤) مقدمة تفسير القرآن الحكيم=تفسير المنار (١/٢٠).

ابن جزي الكلبي دلالة السياق القرآني إحدى قرائن الترجيح(١)، ورجح عدد من المفسرين بناء على هذه الدلالة، ومن الأمثلة الدالة على ذلك:

ما جاء في تفسير قول الله تعالى: "يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ"[النحل: ٨٣]، فقد ذكر شيخ المفسرين الطبري أربعة أقوال في المراد بالآية الكريمة:

أولها: هو النبيّ صلى الله عليه وسلم عرفوا نبوته ثم جحدوها وكذبوه.

ثانيها: أنهم يعرفون أن ما عدد الله تعالى ذكره في هذه السورة من النعم من عند الله، وأن الله هو المنعم بذلك عليهم، ولكنهم يُنْكرون ذلك، فيزعمون أنهم ورثوه عن آبائهم.

ثالثها: إنكارهم إياها: أن يقول الرجل: لولا فلانٌ ما كان كذا وكذا، ولولا فلانٌ ما أصبتُ كذا وكذا.

رابعها: معنى ذلك أن الكفار إذا قيل لهم: من رزقكم؟ أقرّوا بأن الله هو الذي رزقهم، ثم يُنْكرون ذلك بقولهم: رُزقنا ذلك بشفاعة آلهتنا.

ثم رجح القول الأول فقال: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب وأشبهها بتأويل الآية، قول من قال: عني بالنعمة التي ذكرها الله في قوله: "يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ" النعمة عليهم بإرسال محمد صلى الله عليه وسلم إليهم داعيًا إلى ما بعثه بدعائهم إليه، وذلك أن هذه الآية بين آيتين كلتاهما خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعما بُعث به، فأولى ما بينهما أن يكون في معنى ما قبله وما بعده، إذ لم يكن معنى يدلّ على انصرافه عما قبله وعما بعده، فالذي قبل هذه الآية قوله: " فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ الْمُبِينُ"، وما بعده: "وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا" وهو رسولها. فإذا كان ذلك كذلك، فمعنى الآية: يعرف هؤلاء

(١) مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل (١/١٩).

المشركون بالله نعمة الله عليهم يا محمد بك، ثم ينكرونك ويجحدون نبوّتك "وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ" يقول: وأكثر قومك الجاحدون نبوّتك، لا المقرّون بها"(١).

وكذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: "إِنَّا أَرْسَلْنا نُوحًا إِلى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ"[نوح: ١] فقد ذكر القاضي ابن عطية قولين في العذاب الذي تُوعدوا به، ورجح أولهما؛ لأنه الأنسب للسياق، فقال: " والعذاب الذي توعدوا به: يحتمل أن يكون عذاب الدنيا وهو الأظهر والأليق بما يأتي بعد، ويحتمل أن يكون عذاب الآخرة"(٢).

سادسًا: أثر دلالة السياق القرآني في توجيه المتشابه اللفظي: يعتمد الكاتبون في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم على دلالة السياق القرآني؛ لما لهذه الدلالة من أثر مقنع في بيان سبب اختيار لفظ في آية، وانتقاء غيره في آية أخرى.

ومن الأمثلة الدالة على ذلك: ما ذكره ابن الزبير الغرناطي في توجيه المتشابه اللفظي بين قوله تعالى في سورة الروم: "وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ" [الروم: ٤٦]، وقوله تعالى في سورة الجاثية: "اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ" [الجاثية: ١٢] حيث زيادة "فِيهِ" في سورة الجاثية دون سورة الروم؟

حيث ذكر – رحمه الله – أن هذا لا إشكال فيه؛ لأن البحر لم يجر له ذكر في آية الروم، فلم يكن للضمير ما يرجع إليه، ولو قصد محل جري الفلك ألزم الإتيان بالظاهر، ولقيل: ولتجري الفلك في البحر، وهو مفهوم من السياق، فلم

---

(١) ينظر: جامع البيان (٢٧٢/١٧: ٢٧٤).
(٢) المحرر الوجيز (٣٧٢/٥).

يحتج إليه هناك. أما آية الجاثية فإنه لما قدم فيها ذكر البحر جيء بالضمير المجرور العائد إليه على ما ينبغي، وكان له مفسرًا، فحسن الإتيان به بخلاف آية الروم، فالفرق بينهما لا خفاء به(١).

سابعًا: أثر دلالة السياق القرآني في رد بدع التفاسير: يعتمد بعض المفسرين على دلالة السياق القرآني في رد بدع التفاسير، بالتصريح تارة وبالتعريض تارة أخرى، وهذا ما أريد التأكيد عليه في هذا البحث، والمراد ببدع التفاسير هذه التفاسير المخطئة والخاطئة التي يجب اجتنابها في فهم كلام الله تعالى، وبدع التفاسير عبارة الزمخشري في كشافه يقولها حين يحكي بعض تلك التفاسير، وإن كان هو نفسه قد وقع في بعضها بسبب انتمائه إلى عقيدة المعتزلة، التي كان متمسكًا بها إلى حد التعصب والاعتساف، جريئًا في القول بمقتضاها، حتى صدرت عنه عبارات غير لائقة(٢).

وبذلك أكون قد انتهيت من المطلب النظري في هذا البحث، الذي تضمن تعريف دلالة السياق القرآني، وأنواعها، وأهميتها في التفسير، وسأشرع الآن – بعون الله وتوفيقه – في المطلب التطبيقي، الذي أسلط فيه الضوء على بعض بدع التفاسير، التي يمكن نقضها من خلال دلالة السياق القرآني.

*****

(١) ينظر: ملاك التأويل (٢/٤٠١).

(٢) ينظر: بدع التفاسير صـ ٤. والتفاسير الخاطئة هي الآثمة، والمراد أصحابها، أي: أنهم آثمون، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ [القصص: ٨] اهـ حاشية.

المطلب الثاني
أمثلة أثر دلالة السياق القرآني في رد بدع التفاسير

المثال الأول: قوله تعالى: "قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ" [البقرة: ٦٩].

هذه الآية الكريمة وردت في قصة البقرة التي أُمر بنو إسرائيل بذبحها؛ ليُضرب ببعضها قتيل تشاجروا فِيمن قَتَله، ولو ذبحوا أي بقرة لكفتهم؛ لأن لفظ "بقرة" مطلق، ولكنهم شددوا على أنفسهم، فسألوا عن بعض أوصاف هذه البقرة، فبين الله لهم أوصاف بقرة معينة، فهي متوسطة السن ليست فتية ولا مسنة، صفراء شديدة الصفرة تسر الناظرين، غير مذللة للحرث والسقي، لا يشوب صفرتها لون آخر.

لكن أخرج الإمام الطبري بسنده عن الحسن أن قوله تعالى: "صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا" بمعنى: سوداء شديدة السواد(١).

وما ورد عن الحسن مردود بدلالة سياق الآية الكريمة للأسباب الآتية:

أولًا: سباق لفظ " صَفْرَاءُ " هو "بَقَرَةٌ"، واستخدام لفظ "صَفْرَاءُ " بمعنى سوداء يكون في وصف الإبل – وعلل شيخ المفسرين الطبري ذلك بأن سوادها يضرب إلى الصفرة – وبين أن الوصف " صَفْرَاءُ" ليس مما توصف به البقر(٢).

ثانيًا: من لحاق لفظ " صَفْرَاءُ" قوله تعالى: " فَاقِعٌ لَوْنُهَا"، والعرب لا تصف السواد بالفقوع، وإنما تصفه بالحلوكة ونحوها، وقد ذكر الزجاج أن " فَاقِعٌ" نعت للأصفر الشديد الصفرة، يقال: أصفر فاقع، وأبيض ناصع، وأحمر قانٍ(٣)،

---

(١) ينظر: جامع البيان (١٩٩/٢).
(٢) ينظر: المصدر السابق (٢٠١/٢).
(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (١٥١/١).

وكذلك ذكر القاضي ابن عطية أن الفقوع نعت مختص بالصفرة، كما خُص أحمر بقانٍ، وأسود بحالك، وأبيض بناصع، وأخضر بناضر(١).

ثالثًا: من لحاق لفظ " صَفْرَاءُ" قوله تعالى: " تَسُرُّ النَّاظِرِينَ" وسرور الناظرين يكون برؤية الألوان الصافية المبهجة التي تدخل السرور على نفوسهم، وقد علل الشيخ أبو حيان تأخر هذا الوصف عن الذي قبله لأنه ناشىء عن الوصف قبله، أو كالناشىء؛ لأن اللون إذا كان بهجًا جميلًا دَهِشت فيه الأبصار، وعَجِبت من حسنه البصائر. ثم أخبر أن جمهور المفسرين يشيرون إلى أن الصفرة من الألوان السارة، وذكر أن عليًّا كان يرغب في النعال الصفر، وأن ابن عباس قال: الصفرة تبسُط النفس وتذهب الهمّ، وأنه كان يحض على لبس النعال الصفر، وذكر نهي ابن الزبير ويحيى بن أبي كثير عن لباس النعال السود؛ لأنها تُهِمّ(٢).

وقد ذكر العلامة أبو السعود قول الحسن في تفسير "صَفرَاءُ" ثم نص على أن هذا القول يأباه وصفُها بقوله تعالى:" تَسُرُّ النَّاظِرِينَ"، كما يأباه وصفُها بفقوع اللون، وبين أن السرورُ لذةٌ في القلب عند حصول نفعٍ أو توقُّعِه، ثم حكى قول علي – رضيَ الله عنه–: "من لبِسَ نعلًا صفراءَ قل همُّه"(٣).

وذكر شيخ المفسرين في العصر الحديث العلامة الطاهر بن عاشور أن هذا اللون من أحسن ألوان البقر؛ فلذلك أسند فعل "تَسُرُّ" إلى ضمير البقرة، لا إلى ضمير اللون، فلا يقتضي أن لون الأصفر مما يسر الناظرين مطلقًا، وأن التعبير بالناظرين دون الناس ونحوه؛ للإشارة إلى أن المسرة تدخل عليهم عند

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز (١/١٦٣).

(٢) ينظر: البحر المحيط (١/٤٠٨، ٤٠٩).

(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم (١/١١٢).

النظر إليها، من باب استفادة التعليل من التعليق بالمشتق[١].

وبناء على دلالة سياق الآية الكريمة يظهر أن التفسير الصحيح لقوله تعالى: "صَفرَاءُ فَاقِعٌ لَونُهَا" هو: صفراء شديدة الصفرة، وأن التفسير المحكي عن الحسن لا يتناسب مع سياق الآية الكريمة سباقًا ولحاقًا.

*****

المثال الثاني: قوله تعالى:﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩].

أخرج الإمام البخاري بسنده عن البراء رضي الله عنه أنه قال: "نزلت هذه الآية فينا، كانت الأنصار إذا حَجُّوا فجاءوا، لم يدخلوا من قِبَل أبواب بيوتهم، ولكن من ظهورها، فجاء رجل من الأنصار، فدخل من قِبَل بابه، فكأنه عُيِّر بذلك، فنزلت: :﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾[٢].

بينت الآية الكريمة بطلان عادتهم تلك وهي دخول البيوت من ظهورها؛ لأنه لا خير فيها ولا ثواب عليها، وذكَّرتهم أن الخير في تقوى الله باتباع أوامره واجتناب نواهيه، ثم أرشدتهم إلى دخول البيوت من أبوابها، وأمرتهم بتقوى الله؛ ليكونوا من المفلحين في الدنيا والآخرة.

وقال أبو عبيدة[٣]: البرّ هنا: في موضع البار، ومجازها: أي: اطلبوا

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١/٥٥٣، ٥٥٤).

(٢) أخرجه الإمام البخاري، كتاب الحج، باب قول الله تعالى:"وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا" (٣/٨)ح١٨٠٣،وأخرجه الإمام الواحدي في أسباب النزول بسنده عن البراء أيضًا ص٥٤.

(٣) أبو عبيدة معمر بن المثنى، البصري النحوي العلامة، تصانيفه تقارب مائتي تصنيف، منها: كتاب مجاز القرآن، وكتاب غريب القرآن، وكتاب معاني القرآن، توفي سنة تسع=

البرّ من أهله ووجهه ولا تطلبوه عند الجهلة المشركين(١).

وحكى الشريف المرتضي(٢) في أماليه عدة أقوال في تفسير الآية منها القول الذي يتسق وسبب النزول، والقول الذي ذكره أبو عبيدة، وقول أبي علي الجبائي(٣) أن هذا الكلام خرج مخرج ضرب المثل، والمعنى: ليس البر أن يأتي الرجل الشيء من خلاف جهته؛ لأن إتيانه من خلاف جهته يخرج الفعل عن حد الصواب والبر إلى الإثم والخطأ، وبيَّن البر والتقوى، وأمر بإتيان الأمور من وجوهها، وجعل تعالى ذكر البيوت وظهورها وأبوابها مثلًا؛ لأن العادل في الأمر عن وجهه كالعادل في البيت عن بابه، وحكى بعدهما تأويلًا ثالثًا، وهو أن تكون البيوت كناية عن النساء، ويكون المعنى: وأتوا النساء من حيث أمركم الله(٤).

والقول الأول هو الأصح؛ لأنه يوافق سبب النزول ويتمشى مع سياق الآية ونظمها، والقولان بعده مقبولان، والقول الأخير مردود بدلالة سياق الآية

=ومائتين بالبصرة وقيل سنة إحدى عشرة، وقيل سنة عشر، وقيل ثلاث عشرة ومائتين رحمه الله تعالى. ينظر: وفيات الأعيان (٥/٢٣٥)، ميزان الاعتدال (٤/١٥٥).

(١) مجاز القرآن (١/٦٨).

(٢) على بن الحسين الحسيني الشريف المرتضى المتكلم الرافضي المعتزلي، كان نقيب الطالبيين وكان إمامًا في علم الكلام والأدب والشعر، وله تصانيف على مذهب الشيعة، ومقالة في أصول الدين، توفي ٤٣٦هـ ينظر: وفيات الأعيان (٣/٣١٣)، ميزان الاعتدال (٣/١٢٤).

(٣) أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد بن جمران بن أبان، مولى عثمان ابن عفان، رضي الله عنه، المعروف بالجبائي أحد أئمة المعتزلة، كان إماما في علم الكلام، توفي ٣٠٣هـ ينظر: وفيات الأعيان (٤/٢٦٩).

(٤) ينظر: أمالي السيد المرتضى (٢/٤٥).

من جهة، ودلالة سياق القرآن الكريم من جهة ثانية. أما سياق الآية فدالٌّ على أنهم لما سألوا عن الأهلة واختلاف أحوالها(١) أنزل الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩] وقد بين العلامة أبو السعود أن الحق – سبحانه – لما ذكر أن الأهلة مواقيتُ للحج، ذكر عقيبه ما هو من أفعالهم في الحجِّ استطرادًا، أو أنهم لمّا سألوا عما لا يَعنيهم ولا يتعلَّق بعِلمِ النبوة، وتركوا السؤال عما يَعنيهم ويختصُّ بعلم الرسالةِ، عقّبَ بذكره جوابَ ما سألوا عنه تنبيهًا على أن اللائقَ بهم أن يسألوا عن أمثال ذلك ويهتموا بالعلم بها، أو أريد به التنبيهُ على تعكيسهم في السؤال، وكونِه من قبيل دخولِ البيتِ من ورائه، والمعنى: وليس البرُّ بأن تعكسوا في مسائِلكم، ولكنّ البرَّ من اتقى ذلك ولم يجترئ على مثله"(٢).

وذكر ما هو من أفعالهم في الحج يناسب جواب سؤالهم عن الأهلة، لكن ذكر ما يتعلق بالنساء مما يأباه سياق الآية الكريمة كما هو بيِّن.

وأما سياق القرآن الكريم: فقد جاء في آيات السورة نفسها ما يتعلق بإتيان النساء، مصرحًا به في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾

---

(١) قال معاذ بن جبل: يا رسول الله، إن اليهود تغشانا ويكثرون مسألتنا عن الأهلة فأنزل الله تعالى هذه الآية. وقال قتادة: ذكر لنا أنهم سألوا نبي الله – صلى الله عليه وسلم – لم خُلقت هذه الأهلة؟ فأنزل الله تعالى: " قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ". وقال الكلبي: نزلت في معاذ بن جبل وثعلبة بن غنمة – وهما رجلان من الأنصار – قالا: يا رسول الله، ما بال الهلال يبدو فيطلع دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يعظم ويستوي ويستدير، ثم لا يزال ينقص ويدِق حتى يكون كما كان، لا يكون على حال واحدة؟! فنزلت هذه الآية اهـ أسباب النزول للواحدي (٥٣/١).

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم (٢٠٣/١).

[البقرة: ٢٢٢].

ومن ثم فلا فائدة في استنباط هذا المعنى من هذه الآية بطريق الكناية؛ لكونه ذكر مصرحًا به في آية أخرى، في سياق الحديث عن أحكام النساء.

*****

المثال الثالث: قوله تعالى:" أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" [آل عمران: ١٦٥].

يعني – تعالى ذكره – بذلك: أَوَ حين أصابتكم مصيبة يعني: ما أصابهم يوم أُحدٍ، قد أصبتم أنتم مثليها يوم بدر، وذلك أنَّهم قتلوا سبعين وأسروا سبعين، وقُتل منهم يوم أحد سبعون، قلتم: من أين أصابنا هذا القتل والهزيمة، ونحن مسلمون، ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم فينا؟! قل هو بسبب تركك المركز وطلبكم الغنيمة، فَمِنْ قِبَلِكُمْ جاءكم الشَّرُّ [١].

وقد أورد ابن الجوزي في تفسير قوله تعالى: "قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ" ثلاثة أقوال:

أحدها: أن معناه: بأخذكم الفداء يوم بدر.

والثاني: أنه جرى ذلك بمعصية الرماة يوم أُحد، وتركهم أمر الرسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم.

والثالث: أنه بمخالفتهم الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في الخروج من المدينة يوم أُحد، فإنه أمرهم بالتحصُّن فيها، فقالوا: بل نخرج[٢].

والقول الصحيح من هذه الأقوال ثانيها، وأما القولان الآخران فمردودان بسياق الآية الكريمة أولًا، وسياق المقطع الوارد في الحديث عن غزوة أحد من

---

(١) ينظر: الوجيز للواحدي (٢٤١/١).

(٢) ينظر: زاد المسير (٣٤٤/١).

هذه السورة الكريمة ثانيًا؛ أما سياق الآية ففيه خطاب الرسول الكريم أن يجيبهم عن سؤالهم، وهذا أبلغ في التبكيت؛ لأنهم خالفوا أمره صلوات الله عليه وتركوا أماكنهم، وأما سياق المقطع فقد تضمن وعد الله بالنصر على أعدائهم، وصدق وعده في ذلك، فتحقق لهم النصر في بداية الغزوة، حتى خالف الرماة أمر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وتركوا أماكنهم طلبًا للغنيمة، ظانين أن الغزوة قد انتهت وأن أعداءهم قد فروا، ودليل هذا الوعد الكريم بالنصر ذلك التذكير في أعقاب الغزوة في قوله تعالى: " وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ"[آل عمران: ١٥٢] وقد ذهب شيخ المفسرين الطبري في تفسيرها إلى: ولقد صدقكم الله – أيها المؤمنون من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم – بأحُد وعدَه الذي وعدهم على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، والوعد هو قوله للرماة: "اثبتوا مكانكم ولا تبرحوا، وإن رأيتمونا قد هزمناهم، فإنا لن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم". وكان وعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم النصر يومئذ إن انتهوا إلى أمره(١).

ولذلك يشير العلامة أبو السعود إلى أن القولين يتعارضان مع السياق؛ فيقول في المراد بقوله تعالى: "قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ": " أمرٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يُجيب عن سؤالهم الفاسد – إثر تحقيق فساده بالإنكار والتقريع – ويبكتهم أن ما نالهم إنما نالهم من جهتهم، بتركهم المركزَ وحِرصِهم على الغنيمة، وقيل: باختيارهم الخروجَ من المدينة، ويأباه أن الوعدَ بالنصر كان بعد ذلك، كما ذكر عند قوله تعالى "وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ الله وَعْدَهُ ...." الآية، وأن عملَ النبيِّ صلَّى الله عليهِ وسلم بموجبه قد رَفَع الخطرَ عنه، وخفف جنايتَهم فيه، على أن اختيارَ الخروجِ والإصرارَ عليه كان ممن أكرمهم الله تعالى

(١) ينظر: جامع البيان (٢٨١/٧).

بالشهادة يومئذ، وأين هم من التفوّه بمثل هذه الكلمة؟! وقيل: بأخذهم الفداءَ يوم بدر قبل أن يُؤذَن لهم، والأولُ هو الأظهرُ الأقوى، وإنما يعضُده توسيطُ خطابِ الرسول صلى الله عليه وسلم بين الخِطابين المتوجهَيْن إلى المؤمنين، وتفويضُ التبكيتِ إليه عليه السلام، فإن توبيخَ الفاعل على الفعل إذا كان ممن نهاه عنه كان أشدَّ تأثيرًا".

وبناء على ذلك فالقول المناسب للسياق هو أن ما نالهم إنما نالهم بسبب تركهم أماكنهم ومخالفة أمره صلى الله عليه وسلم، وأما القول بأنه قد نزل بهم ما نزل بسبب خروجهم من المدينة فيأباه الوعد بالنصر بعد خروجهم منها، وهو ما ورد في سياق المقطع، ويأباه أيضًا أن الذين اختاروا الخروج وأصروا عليه هم من أكرمهم الله بالشهادة يوم أحد، فكيف يتأتى منهم السؤال " أَنَّى هَذَا"، وقد أضيف السؤال إلى المخاطبين بعد انتهاء الغزوة، ويأباه أيضًا عمل النبي صلى الله عليه وسلم برأي الذين اختاروا الخروج وأصروا عليه، ولو كان هذا خلاف الأولى لعاتبه ربه في ذلك، ولو عوتب في ذلك لذكرت الآيات هذا العتاب، فقد عوتب في قضية الأسرى في آيات سورة الأنفال، ولا داعي لتكرار العتاب هنا مرة أخرى، ناهيك عن أنه صلى الله عليه وسلم فُوِّض من قبل ربه في تبكيتهم، وهذا ما ورد في سياق الآية، وذلك دليل ساطع على أن التوبيخ لهم على ترك أماكنهم ومخالفة أمره صلوات ربي وسلامه عليه.

*****

المثال الرابع: قولـه تعـالى: " وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا"[النساء: ٦].

يخاطب الحق سبحانه أولياء اليتامى آمرًا إياهم: واختبروا اليتامى في عقولهم وأديانهم وحفظ مالهم، حتى إذا بلغوا مبلغ الرجال والنساء، فإن أبصرتم منهم عقلًا وصلاحًا في الدين وحفظًا للمال، فادفعوا إليهم أموالهم كاملة، ولا تبادروا كبرهم ورشدهم حذرا من أن يبلغوا فيلزمكم تسليمها إليهم، ومن كان منكم غنيًّا فليستعفف عن مال اليتيم، ومن كان فقيرًا محتاجًا إلى مال اليتيم وهو يحفظه ويتعهده فليأكل بالمعروف، فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا على دفع الأموال إليهم؛ لتزول عنكم التهمة وتنقطع الخصومة، وكفى بالله محاسبًا ومجازيًا وشاهدًا(١).

وقد أورد الحافظ ابن كثير رواية عن يحيى بن سعيد الأنصاري وربيعة تجعل الخطاب في قوله تعالى: " وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ" لليتامى، فقال: "قال ابن وهب: حدثنا نافع بن أبي نعيم القارئ، قال: سألت يحيى بن سعيد الأنصاري وربيعة عن قول الله تعالى: "وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ"، فقال: ذلك في اليتيم، إن كان فقيرًا أنفق عليه بقدر فقره، ولم يكن للولي منه شيء"(٢).

وهذا القول مردود بسياق الآية الكريمة أولًا، وسياق القرآن الكريم ثانيًا، أما سياق الآية فالخطاب فيها سباقًا ولحاقًا لأولياء اليتامى، فالسباق "وَابْتَلُوا"، "آنَسْتُمْ"، "فَادْفَعُوا"، " وَلَا تَأْكُلُوهَا"، واللحاق "فَإِذَا دَفَعْتُمْ"، "فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ"، فثبت أن الخطاب للأولياء في قوله تعالى: " وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ" للأولياء؛ رعاية للسياق، ولئلا يصير المعنى: ومن كان منكم أيها اليتامى غنيًّا فليستعفف عن ماله، ومن كان منكم فقيرًا فليأكل بالمعروف؛

(١) ينظر: معالم التنزيل (٥٦٧/١).
(٢) تفسير القرآن العظيم (١٩١/٢).

إذ كيف يؤمر اليتيم الغني بالاستعفاف عن ماله؟! فمن أين ينفق؟! وكيف يؤمر الفقير اليتيم أن يأكل من ماله بالمعروف؟! فإنه قد لا يجد اليتيم الفقير المال الكافي الذي يحقق له هذا المعروف.

وأما سياق القرآن الكريم فقد وردت آيتان في سورتين تشيران إلى المعنى المذكور هنا، ينهى الله فيهما أولياء اليتامى عن قربان أموال اليتامى إلا إذا احتاجوا إلى الأكل منه، فقد أباح لهم الأكل بالمعروف، أولاهما في وصايا سورة الأنعام، وهي قوله تعالى: " وَلا تَقْرَبُوا مالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ"[الأنعام: ١٥٢]، والثانية في وصايا سورة الإسراء، وهي قوله تعالى: "وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ"[الإسراء: ٣٤].

ولذلك تعقب الحافظ ابن كثير هذا القول بأنه "بعيد من السياق؛ لأنه قال "وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ" يعني من الأولياء "وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا" أي منهم "فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ" أي: بالتي هي أحسن، كما قال في الآية الأخرى: "وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ"[الأنعام: ١٥٢] أي: لا تقربوه إلا مصلحين له، فإن احتجتم إليه أكلتم منه بالمعروف"(١).

*****

المثال الخامس: قوله تعالى: " وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا"[النساء: ١٦٤].

المعنى: وأرسلنا رسلًا قد قصصنا عليك أنباءهم قبل نزول هذه الآيات عليك، وأرسلنا رسلًا آخرين لم نقصص عليك أخبارهم، وكلم الله نبيه موسى عليه السلام من غير واسطة.

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم (١٩١/٢).

وقد أورد الإمام الزمخشري قولًا حكم عليه بأنه من بدع التفاسير؛ إذ جعل " كلَّمَ" من الكَلْم، وجعل معنى " وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا": وجرّح اللَّه موسى بأظفار المحن ومخالب الفتن(١).

وهذا من إنصاف الإمام الزمخشري؛ لأن بعض المعتزلة ينكرون الكلام النفسي القديم، ومن ثم قال الإمام ابن المنير في الانتصاف معقبًا: " قال محمود: ومن بدع التفاسير أن كلم من الكلم ... الخ" قال أحمد: وإنما ينقل هذا التفسير عن بعض المعتزلة؛ لإنكارهم الكلام القديم الذي هو صفة الذات؛ إذ لا يثبتون إلا الحروف والأصوات قائمة بالأجسام، لا بذات اللَّه تعالى، فيرد عليهم بجحدهم كلام النفس إبطال خصوصية موسى عليه السلام في التكليم؛ إذ لا يثبتونه إلا بمعنى سماعه حروفًا وأصواتًا قائمة ببعض الأجرام، وذلك مشترك بين موسى وبين كل سامع لهذه الحروف، حتى المشرك الذي قال اللَّه فيه: "حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ"[التوبة: ٦] فيضطر المعتزل إلى إبطال الخصوصية الموسوية بحمل التكليم على التجريح، وصدق الزمخشري وأنصف: إنه لمن بدع التفاسير التي ينبو عنها الفهم، ولا يبين بها إلا الوهم، واللَّه الموفق"(٢).

وقد حكم الإمام الرازي على قول بعضهم في معنى " وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا": وجرّح اللَّه موسى بأظفار المحن ومخالب الفتن بأنه تفسير باطل(٣).

ومما يدل على بطلان هذا التفسير ما يأتي:

أولًا: سياق الآية الكريمة، فإنها خبر عن إرسال الرسل، الرسل الذين قص الله أخبارهم من قبل نزول هذه الآيات، والرسل الذين لم يقصص الله أخبارهم،

---

(١) ينظر: الكشاف (٥٩١/١).

(٢) الانتصاف فيما تضمنه الكشاف بحاشية تفسير الكشاف (٥٩١/١).

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب (٢٦٧/١١).

والذي يناسب خبر الإرسال من حيث السياق هو الإخبار عن تكليم الله نبيه موسى عليه السلام، لا سيما وقد أكد الفعل بالمصدر المؤكد للفعل، ولذلك قال ابن جزي: "تَكْلِيمًا" تصريح بالكلام مؤكد بالمصدر، وذلك دليل على بطلان قول المعتزلة إنّ الشجرة هي التي كلمت موسى"(١).

ثانيًا: سياق المقطع القرآني، فإن الحديث في هذا المقطع عن الوحي والرسالة، ففي سباق الآية قوله تعالى: "إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ...."[النساء: ١٦٣]، ولحاقها قوله تعالى: " رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ..."[النساء: ١٦٥]، والذي يناسب السباق واللحاق هو الحديث عن تكليم الله موسى عليه السلام؛ لأن هذا التكليم إحدى كيفيات الوحي إلى المرسلين، التي وردت في قوله تعالى: " وَما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ"[الشورى: ٥١].

قال الإمام البغوي: "وَما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا" يوحي إليه في المنام أو بالإلهام، "أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ" يُسمِعه كلامه ولا يراه كما كلمه موسى عليه الصلاة والسلام "أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا" إما جبريل أو غيره من الملائكة "فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشاءُ" أي: يوحي ذلك الرسول إلى المرسل إليه بإذن الله ما يشاء"(٢).

وهي إحدى كيفيات الوحي إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، التي حصرها الحافظ السيوطي في خمس كيفيات:

إحداها: أن يأتيه الملك في مثل صلصلة الجرس، كما في الصحيح وفي مسند أحمد عن عبد الله ابن عمرو، قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم،

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢١٧/١).

(٢) معالم التنزيل (١٥٣/٤).

هل تحس بالوحي؟ فقال:" أسمع صلاصل[١]، ثم أسكت عند ذلك، فما من مرة يوحى إلي إلا ظننت أن نفسي تقبض"[٢]. الثانية: أن ينفث في روعه الكلام نفثًا، كما قال صلى الله عليه وسلم: "إن روح القدس نفث في روعي "[٣].

الثالثة: أن يأتيه في صورة الرجل فيكلمه، كما في الصحيح: "وأحيانا يتمثل لي الملك رجلًا فيكلمني فأعي ما يقول "[٤].

الرابعة: أن يأتيه الملك في النوم.

الخامسة: أن يكلمه الله إما في اليقظة كما في ليلة الإسراء أو في النوم كما في حديث معاذ: "أتاني ربي فقال: فيم يختصم الملأ الأعلى.."[٥][٦].

---

(١) صلاصل جمع صلصلة، والصلصلة بمهملتين مفتوحتين بينهما لام ساكنة في الأصل صوت وقوع الحديد بعضه على بعض ثم أطلق على كل صوت له طنين وقيل هو صوت متدارك لايدرك في أول وهلة. ينظر: فتح الباري (٢٠/١).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن عمرو (٦٤٢/١١) ح:٧٠٧١ وقوله: "أسمع صلاصل" له أصل في الصحيح فقد أخرج الإمام البخاري بسنده عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول" قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقًا اهـ صحيح البخاري، باب بدء الوحي (٦/١) ح: ٢.

(٣) أخرجه الإمام أبو نعيم في حلية الأولياء (٢٦/١٠).

(٤) أخرجه الإمام البخاري، باب بدء الوحي (٦/١) ح: ٢.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٥٦/٣٨) ح: ٢٣٢١٠ وقال الإمام الهيثمي: رواه أحمد، ورجاله ثقات اهـ مجمع الزوائد (١٧٦/٧).

(٦) الإتقان في علوم القرآن، النوع السادس عشر: في كيفية إنزاله (١٦١/١).

ثالثًا: سياق القرآن الكريم، فقد أثبتت آية أخرى تكليم الله لنبيه موسى عليه السلام، وهي قوله تعالى: "وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ...."[الأعراف: ١٤٣] فالتكليم حصل من الله تعالى لنبيه موسى عليه السلام، وليس ما يدعيه البعض من حصول التكليم من نبي الله موسى عليه السلام لربه، ويستدل على ذلك بقراءة شاذة، يقرأ لفظ الجلالة فيها بالنصب.

ومن ثم قال الحافظ ابن كثير: "جاء رجل إلى أبي بكر بن عياش فقال: سمعت رجلًا يقرأ " وَكَلَّمَ اللَّهَ مُوسَى تَكْلِيمًا"، فقال أبو بكر: ما قرأ هذا إلا كافر، قرأت على الأعمش، وقرأ الأعمش على يحيى بن وثاب، وقرأ يحيى بن وثاب على أبي عبد الرحمن السلمي، وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي على علي بن أبي طالب، وقرأ علي بن أبي طالب على رسول الله صلى الله عليه وسلم "وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا"، وإنما اشتد غضب أبي بكر بن عياش –رحمه الله – على من قرأ كذلك، لأنه حرَّف لفظ القرآن ومعناه، وكان هذا من المعتزلة الذين ينكرون أن يكون اللهُ كلم موسى عليه السلام، أو يكلم أحدًا من خلقه، كما رويناه عن بعض المعتزلة أنه قرأ على بعض المشايخ "وَكَلَّمَ اللَّهَ مُوسَى تَكْلِيمًا" فقال له: يا ابن اللخناء، كيف تصنع بقوله تعالى: "وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ" [الأعراف: ١٤٣]؟ يعني أن هذا لا يحتمل التحريف، ولا التأويل"(١).

*****

(١) تفسير القرآن العظيم (٤٢١/٢).

المثال السادس: "يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ"[المائدة: ٣٧].

يخبر الله في هذه الآية أن الكافرين يتمنون يوم القيامة الخروج من النار، والحال أنهم ليسوا بخارجين منها؛ إذ لهم عذاب دائم لا ينقطع.

ويرى الإمام الزمخشري أن الآية عامة في كل من دخل النار، ويحكم بالوضع على استدلال أهل السنة القائلين بأن الآية خاصة بالكفار، فيقول: " وما يروى عن عكرمة أن نافع بن الأزرق قال لابن عباس: يا أعمى البصر أعمى القلب تزعم أن قوما يخرجون من النار، وقد قال اللَّه تعالى: "وَما هُمْ بِخارِجِينَ مِنْها" فقال: ويحك، اقرأ ما فوقها، هذا للكفار[١]. فمما لفقته المجبرة[٢]، وليس بأول تكاذيبهم وفراهم، وكفاك بما فيه من مواجهة ابن الأزرق ابن عمّ رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم وهو بين أظهر أعضاده من قريش وأنضاده[٣] من بنى عبد المطلب، وهو حبر الأمّة وبحرها ومفسرها، بالخطاب الذي لا يجسر على مثله أحد من أهل الدنيا، ويرفعه إلى عكرمة دليلين ناصين أن الحديث فرية ما فيها مرية"[٤].

---

(١) قال الحافظ ابن حجر: لم أجده، وقد أنكره صاحب الكشاف، وقال: هذا مما لفقه المجبرة، وليس أول تكاذيبهم إلى آخر كلامه اهـ الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف صـ ٥٤.

(٢) قوله "فمما لفقته المجبرة" يعنى أهل السنة القائلين بخروج صاحب الكبيرة من النار لأنه مؤمن، خلافًا للمعتزلة القائلين لا مؤمن ولا كافر بل واسطة اهـ الانتصاف فيما تضمنه الكشاف (٦٣٠/١).

(٣) أَنضادُ الرجل: أعمامُهُ وأخوالُهُ المتقدمون في الشرف اهـ الصحاح (٥٤٤/٢) مادة: نضد.

(٤) الكشاف (٦٣٠/١).

والناظر في سياق المقطع القرآني يدرك لأول وهلة أن الخبر عن الكفار – وإن لم يثبت الأثر السابق عن الحبر – فإن الله سبحانه يقول في الآية التي تسبق هذه الآية: " إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ"[المائدة: ٣٦] وقد ذكر الإمام الزمخشري نفسه في تفسيرها أن ما ورد في هذه الآية تمثيل للزوم العذاب للكفار، وأنه لا سبيل لهم إلى النجاة منه بوجه، ثم استدل على ذلك بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو قوله صلوات ربي عليه: " يُقال للكافر يوم القيامة: أرأيتَ لو كان لك ملء الأرض ذهبًا أكنت تفتدى به؟ فيقول: نعم، فيُقال له: قد سُئلت أيسر من ذلك"(١)، وذكر أن "لَوْ" مع ما في حيزه خبر "إِنَّ"(٢).

ومن يتتبع آيات القرآن الكريم يجد في جميع المواضع أن الذين يتمنون الخروج من النار، ولا تتحقق لهم هذه الأمنية هم الكفار، ومن تلك المواضع قوله تعالى: " هذانِ خَصْمانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيابٌ مِنْ نارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ . يُصْهَرُ بِهِ ما فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ .

---

(١) أخرجه الإمام البخاري، كتاب الرقاق، باب: من نوقش الحساب عذب (١١٢/٨) ح:٦٥٣٨، وأخرجه الإمام مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب: طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهبا (٢١٦١/٤) ح: ٢٨٠٥. وفي لفظ آخر عند الإمام البخاري: " إن الله يقول لأهون أهل النار عذابًا: لو أن لك ما في الأرض من شيء كنت تفتدي به؟ قال: نعم، قال: فقد سألتك ما هو أهون من هذا وأنت في صلب آدم، أن لا تشرك بي، فأبيت إلا الشرك " اهـ صحيح الإمام البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: خلق آدم صلوات الله عليه وذريته (١٣٣/٤) ح: ٣٣٣٤. وهذا اللفظ مما يستدل به على أن المخلدين في النار هم الكفار.

(٢) ينظر: الكشاف(٦٢٩/١).

وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ . كُلَّما أَرادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْها مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيها وَذُوقُوا عَذابَ الْحَرِيقِ"[الحج: ١٩-٢٢]، وقوله عز من قائل: " وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْواهُمُ النَّارُ كُلَّما أَرادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْها أُعِيدُوا فِيها وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ"[السجدة: ٢٠] وهذه الآية أيضًا في الكفار، والفاسق هنا هو الكافر؛ وقد أكد العلامة ابن عاشور أن الفاسق هنا هو: "من ليس بمؤمن؛ بقرينة قوله بعده: "وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ"، فالمراد الفسق عن الإيمان، الذي هو الشرك، وهو إطلاق كثير في القرآن"(١).

وقد أخرج الإمامان البخاري ومسلم بسندهما، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "..... حتى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار، أمر الله الملائكة: أن يُخرجوا من كان يعبد الله، فيُخرجونهم ويعرفونهم بآثار السجود، وحرم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيَخرجون من النار، فكل ابن آدم تأكله النار إلا أثر السجود، فيَخرجون من النار، قد امتُحِشوا(٢) فيصب عليهم ماء الحياة، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل(٣) ..."(٤).

وأخرج الإمام الواحدي بسنده عن يزيد الفقير عن جابر، قال: "يخرج قوم من النار بعد أن احترقوا، قال: قلت: أليس الله يقول: "يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ

---

(١) التحرير والتنوير (٢٣١/٢١).

(٢) محشته النَّار أَي أحرقته والمحش احتراق الْجلد وَظُهُور الْعظم اهـ فتح الباري (١٨٦/١).

(٣) هو مَا يَجِيء بِهِ السَّيل من طين وغيره اهـ السابق (١٠٨/١).

(٤) أخرجه الإمام البخاري، كتاب الصلاة، باب: فضل السجود (١٦٠/١)ح: ٨٠٦، وأخرجه الإمام مسلم، كتاب الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية (١٦٣/١)ح: ١٨٢.

النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا" قال: اقرأ ما قبلها، إنما هذه للكفار "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ ..." الآية كلها"[(١)].

ومن ثم تعقب الإمام الألوسي قول الإمام الزمخشري – الموافق لمذهبه المخالف لسياق الآية الكريمة والأحاديث والآثار– وقال:" .... ورواية أنه قال له: "يا أعمى البصر أعمى القلب تزعم..." إلخ حكاها الزمخشري، وشنع إثرها على أهل السنة، ورماهم بالكذب والافتراء، فحقق ما قيل: رمتني بدائها وانسلت، ولسنا مضطرين لتصحيح هذه الرواية، ولا وقف الله تعالى صحة العقيدة على صحتها، فكم لنا من حديث صحيح شاهد على حقيقة ما نقول، وبطلان ما يقوله المعتزلة تبًّا لهم"[(٢)].

إذا تمهد لك ذلك كله فاعلم أن الآية وردت في سياق الحديث عن الكفار، وأن الآيات والأحاديث والآثار أكدت ذلك المعنى، وأن ما ذهب إليه الإمام الزمخشري حقيق أن يعد من بدع التفاسير.

*****

المثال السابع: قوله تعالى: " إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ"[المائدة: ٥٥].

بين سبحانه في هذه الآية من تجب موالاتهم، وهم الله ورسوله والمؤمنون، الذين يؤدون الصلاة في مواقيتها، ويعطون الزكاة لمستحقيها، حالة كونهم خاشعين متذللين، وليسوا مرائين ولا متعالين.

وقد أورد بعضهم أن هذه الآية نزلت في أمير المؤمنين علي بن

---

(١) الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٢/١٨٤).

(٢) روح المعاني (٣/٣٠٠).

أبي طالب رضي الله عنه؛ فقد عزا الثمالي[١]- من الشيعة الإمامية- لأبي جعفر أنه قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسٌ، وعنده قوم من اليهود، فيهم عبد الله بن سلام، إذ نزلت هذه الآية، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد فاستقبله سائل، فقال: هل أعطاك أحد شيئًا؟ قال: نعم، ذاك المصلي، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا هو عليٌّ أمير المؤمنين[٢].

ووردت هذه الرواية بألفاظ مختلفة وبأسانيد متعددة، في عدد من كتب التفسير وأسباب النزول[٣]، لكنها رغم تنوع ألفاظها وتعدد أسانيدها لا تقوم بها حجة؛ فقد قال الحافظ ابن كثير – بعد ذكر هذه الأسانيد المتعددة-: "وليس يصح شيء منها بالكلية؛ لضعف أسانيدها وجهالة رجالها"[٤].

والناظر في سياق الآية الكريمة يدرك أن الآية عامة في ولاية المؤمنين، وليست خاصة في ولاية أمير المؤمنين، والآية تشبه غيرها من الآيات القرآنية المؤكدة على ولاية المؤمنين بعضهم بعضًا، وقد أرشدنا الإمام الواحدي إلى ذلك، حين قرر أن الآية عامة في جميع المؤمنين، فكلُّ مؤمن وليٌّ لكلِّ مؤمن؛

---

(١) ثابت بن دينار الثمالي الأزدي بالولاء، أبو حمزة: من رجال الحديث الثقات عند الإمامية، وروى عنه بعض أهل السنَّة، وهو من أهل الكوفة، له كتاب في تفسير القرآن، وكتاب الزهد، وكتاب النوادر. ينظر: الأعلام (٩٧/٢)، معجم المؤلفين (١٠٠/٣).

(٢) تفسير القرآن الكريم لأبي حمزة الثمالي صـ ١٥٨.

(٣) ينظر: أسباب النزول للواحدي (٢٠٠/١)، الوسيط للواحدي (٢٠١/٢)، معالم التنزيل (٦٤/٢)، الكشاف (٦٤٩/١)، المحرر الوجيز (٢٠٨/٢)، زاد المسير (٥٦١/١)، لباب النقول (٨١/١).

(٤) تفسير القرآن العظيم (١٢٦/٣).

لقوله تعالى: "وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ"[التوبة: ٧١]، ثم ذكر أن نحو هذا روي عن أبي جعفر الباقر، قال: نزلت في الذين آمنوا، فقيل له: إن ناسًا يقولون: إنها نزلت في علي بن أبي طالب، فقال: عليّ من الذين آمنوا(١).

وقد أطال الإمام الرازي الرد على الشيعة الإمامية، الذين يستدلون بهذه الآية على إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان من بين تلك الردود: أن الله تعالى ذكر المؤمنين الموصوفين في هذه الآية بصيغة الجمع في سبعة مواضع وهي قوله: "وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ"، وحمل ألفاظ الجمع وإن جاز على الواحد على سبيل التعظيم، لكنه مجاز لا حقيقة، والأصل حمل الكلام على الحقيقة. وأنه تعالى مدح المؤمنين في الآية المتقدمة بقوله: "يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ" فإذا حملنا قوله: "إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ" على معنى المحبة والنصرة ،كان قوله: "إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ" يفيد فائدة قوله: "يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ"، وقوله: "يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ" يفيد فائدة قوله: "يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ" فكانت هذه الآية مطابقة لما قبلها مؤكدة لمعناها فكان ذلك أولى، فثبت بهذه الوجوه أن الولاية المذكورة في هذه الآية يجب أن تكون بمعنى النصرة لا بمعنى التصرف(٢).

فلله دره من إمام استطاع أن يستنبط من الآية الكريمة ردودًا عقلية ونقلية، تعتمد على سياق الآيات، ردّ بها على الشيعة الإمامية في دعواهم.

---

(١) ينظر: الوسيط للواحدي (٢/٢٠١).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب (١٢/٣٨٤).

المثال الثامن: قوله تعالى: " إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذابٌ أَلِيمٌ بِما كانُوا يَكْفُرُونَ"[يونس: ٤].

إلى الله وحده مرجعكم جميعًا بعد الموت، وعد الله هذا وعدًا حقًّا؛ إنه يبدأ الخلق ثم يعيده في النشأة الأخرى؛ ليجزي الذين آمنوا بإيمانهم، والذين كفروا لهم بعد البعث شراب من ماء ساخن، ولهم بعد ذلك عذاب مؤلم بما كانوا يكفرون.

هذا هو معنى الآية الكريمة، وقد أورد بعض المفسرين أن المرجع هنا هو الرجوع بالموت، وأن القسط في الآية بمعنى العدل، ويظهر لي أنهما تفسيران تأباهما دلالة السياق القرآني.

أورد القاضي البيضاوي القولين في تفسير قوله تعالى:"إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا" فقال: "بالموت أو النشور لا إلى غيره فاستعدوا للقائه"(١).

وقد أشار العلامة أبو السعود إلى أن تفسير المرجع بأنه الرجوع بالموت منافٍ للسياق، فقال: "إِلَيْهِ" لا إلى أحدٍ سواهُ استقلالًا أو اشتراكًا "مَرْجِعُكُمْ" أي بالبعث كما ينبئ عنه قوله تعالى: "جَمِيعًا" فإنه حالٌ منَ الضميرِ المجرورِ؛ لكونه فاعلًا في المعنى، أي: إليه رجوعُكم مجتمعين، والجملةُ كالتعليل لوجوب العبادة "وَعدَ الله" مصدرٌ مؤكدٌ لنفسه(٢)؛ لأن قوله عزَّ وجلَّ: "إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ"

---

(١) أنوار التنزيل (٣/١٠٥).

(٢) المصدر إذا أكد مضمون جملة تدل على معناه: فإن كانت نصًّا فيه لا تحتمل غيره فهو يسمى في اصطلاح النحاة مؤكدًا لنفسه نحو: له عليّ ألف اعترافًا، وإن احتمله وغيره نحو: زيد قائم حقًّا فهو مؤكد لغيره، ولا بد له من عامل محذوف فيهما اهـ حاشية الشهاب على تفسير القاضي البيضاوي (٥/٥).

وعد منه سبحانه بالبعث، أو لفعل مقدر أي: وعَدَ الله، وأيا ما كان فهو دليلٌ على أن المرادَ بالمرجِع هو الرجوعُ بالبعث؛ لأن ما بالموت بمعزل من الوعد، كما أنه بمعزل من الاجتماع"(١).

فقد اعتمد العلامة على لحاق قوله: " مَرْجِعُكُمْ " والمتمثل في كلمتين: أولاهما: " جَمِيعًا"، وثانيتهما: "وَعدَ"؛ حيث أشارت الكلمة الأولى إلى أن المخاطبين يرجعون مجتمعين، وهذا الاجتماع لا يكون عند الموت؛ لأن الناس لا يموتون جميعًا في وقت واحد، بل يموت كل امرئ في الوقت الذي قُدر له أن يموت فيه، وإنما يتحقق هذا الاجتماع عند البعث؛ فإنهم يبعثون في وقت واحد، كما ورد في سياق القرآن الكريم: "وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا" [الكهف: ٩٩]. وأشارت الكلمة الثانية إلى الوعد الإلهي، ولم يأتِ الوعد الإلهي في سياق القرآن الكريم مرادًا به الوعد بالموت؛ لأن الموت حقيقة مشاهدة لا ينكرها أحد، لكن ورد الوعد بالبعث في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: "وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ"[النحل: ٣٨]، وقوله تعالى: "وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا. فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا. فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا. فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا. إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ. وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ"[الذاريات: ١-٦]، وقوله تبارك اسمه: "وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا. فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا. وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا. فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا. فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا. عُذْرًا أَوْ نُذْرًا. إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ"[المرسلات: ١-٧].

وأورد بعض المفسرين قولًا واحدًا في المراد بالقسط في قوله تعالى: "لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ" فذكروا أنه أريد به العدل(١).

(١) إرشاد العقل السليم (١١٩/٤).

وأورد البعض الآخر أقوالًا في المراد بالقسط، ثم اختاروا منها ما يناسب دلالة السياق القرآني، ومنهم الإمام الزمخشري الذي ذكر قولين في المراد بالقسط، فقال: " ... والمعنى: ليجزيهم بقسطه ويوفيهم أجورهم، أو بقسطهم وبما أقسطوا وعدلوا ولم يظلموا، حين آمنوا وعملوا صالحًا؛ لأنّ الشرك ظلم، قال الله تعالى: "إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ"[لقمان: ١٣]، والعصاة ظُلَّام أنفسهم، وهذا أوجه؛ لمقابلة قوله: "بِما كانُوا يَكْفُرُونَ"(٢).

وتبعه القاضي البيضاوي والعلامة أبو السعود في ذلك؛ فقال القاضي مفصِّلًا: "أي: بعدله، أو بعدالتهم وقيامهم على العدل في أمورهم، أو بإيمانهم؛ لأنه العدل القويم، كما أن الشرك ظلم عظيم، وهو الأوجه؛ لمقابلة(٣) قوله: "وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذابٌ أَلِيمٌ بِما كانُوا يَكْفُرُونَ" فإن معناه: ليجزي الذين كفروا بشراب من حَمِيمٍ وَعذَاب أَلِيم بسبب كفرهم"(٤). وقال العلامة موضحًا: " أي: بالعدل، وهو حالٌ من فاعلِ "يَجزِيَ" أي ملتبسًا بالعدل، أو متعلق بـ "يَجزِيَ"، أي: ليجزيَهم بقسطه ويوفيَهم أجورَهم، وإنما أجمل ذلك إيذانًا بأنه لا يفي به الحصرُ، أو بقسطهم وعدلِهم عند إيمانِهم ومباشرتِهم للأعمال الصالحة، وهو الأنسبُ بقوله عز وجل: "والذين كَفَرُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ" فإن معناه: ويجزي الذين كفروا بسبب كفرِهم"(٥).

---

(١) ينظر: جامع البيان (٢٢/١٥)، معاني القرآن وإعرابه (٧/٣)، معالم التنزيل (٤١٠/٢)، المحرر الوجيز (١٠٥/٣)، تفسير القرآن العظيم (٢٤٨/٤).

(٢) الكشاف (٣٢٩/٢).

(٣) المقابلة: أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معانٍ متوافقة، ثم بما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب اهـ بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح (٥٨٠/٤).

(٤) أنوار التنزيل (١٠٥/٣).

(٥) إرشاد العقل السليم (١١٩/٤).

استدل الأئمة بدلالة سياق الآية الكريمة؛ حيث تتحقق المقابلة الكاملة إذا فُسر القسط بالإيمان، فهذا فريق مؤمن يقابله فريق كافر، هذا فريق يثاب يقابله فريق يعاقب، ثواب الفريق الأول بسبب إيمانه، وعقاب الفريق الآخر بسبب كفره.

واستدل الأولان بدلالة سياق القرآن الكريم؛ إذ أوردا ما جاء في سورة لقمان من الإخبار عن الشرك بأنه ظلم، فيستنبط من ذلك أن إيمان المؤمنين وعملهم الصالح يقال له: قسط.

ويستدل لذلك أيضًا بما ورد في سياق المقطع القرآني؛ إذ ورد في المقطع نفسه من السورة الكريمة قوله تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ"[يونس: ٩]، فالباء هنا للسببية أيضًا، والمعنى الأقرب للآية عند الشيخ أبي حيان: " أي: يزيد في هداهم بسبب إيمانهم السابق وتثبتهم، "فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا"[التوبة: ١٢٤]، أو يهديهم إلى طريق الجنة بنور إيمانهم كما قال: " يَسْعى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمانِهِمْ "[الحديد:١٢]، قال مجاهد: يكون لهم إيمانهم نورًا يمشون به"[(١)].

ويستدل لذلك أيضًا بما ورد قوله تعالى: "الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ"[الأنعام: ٨٢] فقد فسر الظلم في الآية بالشرك، وذلك لما ورد في الصحيحين – واللفظ لمسلم – بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: لما نزلت: "الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ"

(١) ينظر: البحر المحيط (١٧/٦).

شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالوا: أينا لا يظلم نفسه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ليس هو كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان لابنه: يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ "(١).

ولم يستدل الإمام الزمخشري بآية الأنعام؛ لأنه لم يفسر الظلم الوارد فيها بالشرك، وإنما فسره بالمعصية التي تُفسّقهم، ورأى أن تفسير الظلم بالكفر يأباه لفظ اللبس(٢).

والحق أنه أراد بذلك تنزيل الآية على معتقده في وجوب عقاب أصحاب الكبائر الذين ماتوا دون أن يتوبوا، ومن ثم أطال العلامة الطيبي في تعقبه، فقال ما ملخصه: " الواجب أن يفسر الظلم بالشرك، ولفظ "اللبس" لا يأباه، وتفسير سيد المرسلين، وإمام الموحدين، أولى بالتلقي .... أما معنى "اللبس" فهو ما قال القاضي: "لبس الإيمان بالظلم: أن يصدق بوجود الصانع الحكيم، ويخلط بهذا التصديق الإشراك به"(٣). وقلت: يؤيده قوله تعالى: "وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وهُم مُّشْرِكُونَ"[يوسف: ١٠٦]"(٤).

فإن قلت: ما سر تغيير النظم في قوله تعالى: " "والذين كَفَرُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ"؟

قال القاضي البيضاوي مجيبًا: " ... معناه: ليجزي الذين كفروا بشراب مّنْ حَمِيمٍ وَعَذَاب أَلِيم بسبب كفرهم، لكنه غيَّر النظم للمبالغة في استحقاقهم

---

(١) أخرجه الإمام البخاري، كتاب الإيمان، باب ظلم دون ظلم (١/١٥) ح: ٣٢، وأخرجه الإمام مسلم، كتاب الإيمان، باب صدق الإيمان وإخلاصه (١/١١٤) ح: ١٢٤.

(٢) ينظر: الكشاف (٢/٤٣).

(٣) أنوار التنزيل للقاضي البيضاوي (٢/١٧٠).

(٤) ينظر: فتوح الغيب (٦/١٤٨).

للعقاب، والتنبيه على أن المقصود بالذات من الإبداء والإعادة هو الإثابة، والعقاب واقعٌ بالعَرض، وأنه تعالى يتولى إثابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه، ولذلك لم يعيّنه، وأما عقاب الكفرة فكأنه داء ساقه إليهم سوء اعتقادهم وشؤم أفعالهم"(١).

*****

المثال التاسع: قوله تعالى: " وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِها لَوْلا أَنْ رَأى بُرْهانَ رَبِّهِ كَذلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُخْلَصِينَ"[يوسف: ٢٤].

تعددت أقوال المفسرين في تفسير قوله تعالى:" وَهَمَّ بِها"، هل همَّ نبي الله يوسف عليه السلام أو لا ؟ فمنهم من نفى الهمَّ عنه كالشيخ أبي حيان؛ فقال : "طوّل المفسرون في تفسير هذين الهمين، ونسب بعضهم ليوسف ما لا يجوز نسبته لآحاد الفساق. والذي أختاره أن يوسف عليه السلام لم يقع منه هم بها البتة، بل هو منفي لوجود رؤية البرهان كما تقول : لقد قارفتَ لولا أن عصمك الله"(٢).

ومنهم من أثبت الهمّ لنبي الله يوسف عليه السلام، ومن أثبتوا الهمّ له تعددت أقوالهم في صورته، وأغلب أقوالهم في صورة الهم تتنافى مع العصمة الثابتة للرسل الكرام، والصورة المقبولة هي أن همَّ نبي الله يوسف عليه السلام عبارة عن خاطر وحديث نفس، وهذا مما لا يدخل تحت التكليف، ولو نفينا الهم الذي هو حديث نفس؛ لما استحق نبي الله يوسف عليه السلام المدح على عفته، بل ربما ظن بعض الناس أنه عليه السلام لم تكن له رغبة في النساء أصلًا، ولذلك لم تحرك مراودة امرأة العزيز له ساكنًا، وهذا نقص بشري، والرسل

---

(١) أنوار التنزيل (٣/١٠٥).

(٢) البحر المحيط (٦/٢٥٧).

الكرام عليهم الصلاة والسلام يستحيل عليهم إجمالًا كل نقص بشري.

قال الإمام الألوسي:" وَهَمَّ بِها" أي: مال إلى مخالطتها بمقتضى الطبيعة البشرية، كميل الصائم في اليوم الحار إلى الماء البارد، ومثل ذلك لا يكاد يدخل تحت التكليف، لا أنه عليه السلام قصدها قصدًا اختياريًّا؛ لأن ذلك أمر مذموم تنادي الآيات على عدم اتصافه عليه السلام به، وإنما عبر عنه بالهم لمجرد وقوعه في صحبة همها في الذكر، بطريق المشاكلة[١] لا لشبهه به كما قيل"[٢].

وقد جاء في بعض التفاسير أن همّ نبي الله يوسف عليه السلام هو أنه حل الهِمْيان[٣] وجلس منها مجلس المجامع، وأنه حل تِكَّة سراويله وقعد بين شعبها الأربع وهي مستلقية على قفاها، وأن الشيطان جرى فيما بينهما فضرب بإحدى يديه إلى جيد يوسف وباليد الأخرى إلى جيد المرأة حتى جمع بينهما[٤].

وهذه الأقوال مكذوبة لتنافيها وعصمته عليه السلام، وهي في الوقت نفسه مردودة بدلالة السياق القرآني للأسباب الآتية:

---

(١) المشاكلة هي: أن يذكر الشيء بلفظ غيره؛ لوقوع ذلك الشيء في صحبة ذلك الغير، كقوله تعالى: "وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا"[الشورى: ٤٠]، فالجزاء على السيئة في الحقيقة ليس بسيئة، وإنما هو "عقوبة" يراد بها الإصلاح، فالمعنى حينئذ: وجزاء سيئة عقوبة تعادلها، فتعبيره عن العقوبة بلفظ "سَيِّئَةٌ" مشاكلة؛ لوقوعه في صحبة ذلك اللفظ اهـ المنهاج الواضح للبلاغة (١/١٦٥).

(٢) روح المعاني (٦/٤٠٤).

(٣) شِدادُ السَّراوِيل اهـ لسان العرب (١٥/٣٦٤) مادة: همي.

(٤) ينظر: جامع البيان (١٦/٣٦)، الوسيط للواحدي (٢/٦٠٧)، معالم التنزيل (٢/٤٨٤)، الجامع لأحكام القرآن= =(٩/١٦٦)، الدر المنثور (٤/٥٢٠)

أولًا: ورد في سياق المقطع القرآني ما يشهد ببراءته عليه السلام، فقد ورد في سباق قوله تعالى: " وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِها" جواب نبي الله يوسف عليه السلام على إغراءات امرأة العزيز؛ حيث قال لها كما ورد في الآية: " قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ"[يوسف: ٢٣]، فكيف نصدق ما جاء في هذه الروايات؟! إن يوسف عليه السلام استعاذ بربه، وعرف فضل سيده العزيز الذي أحسن إليه، وذكر خسران الظالمين – الذين يضعون الأمور في غير مواضعها فيقابلون الإحسان بالإساءة – وقَابَل دواعي الغواية من امرأة العزيز بدواعي العفاف والطهارة(١).

ثانيًا: ورد في لحاق قوله تعالى: " وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِها" صرف الله السوء والفحشاء عنه، وثناء الله عليه بأنه من عباده المخلصين "كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُخْلَصِينَ"، فكيف يحدث منه ما ورد في هذه الروايات مع صرف الله السوء والفحشاء عنه؟! أليس ما ورد في هذه الروايات من جملة السوء؟! بل كيف يثني الله عليه هذا الثناء بعد أن وقع منه ما وقع؟!

ثالثًا: ورد في سياق السورة الكريمة أن كل من ورد ذكرهم في القصة شهدوا ببراءة نبي الله يوسف عليه السلام، فقد برأه العزيز، وامرأة العزيز، ونسوة المدينة، والشاهد، بل برأه إبليس نفسه الذي يوقع الناس بوسوسته في الغواية والضلال.

---

(١) المتأمل في هذه الآية الكريمة يرى أن القرآن الكريم قد قابل دواعي الغواية الثلاث التي جاهرت بها امرأة العزيز والمتمثلة في المراودة، وتغليق الأبواب، وقولها: هيت لك، بدواعي العفاف الثلاث التي رد بها عليها يوسف، والمتمثلة في قوله- كما حكى القرآن عنه-: "مَعاذَ اللَّهِ، إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوايَ، إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ"، وذلك ليثبت أن الاعتصام بالعفاف والشرف والأمانة، كان سلاح يوسف عليه السلام في تلك المعركة العنيفة بين نداء العقل ونداء الشهوة اهـ التفسير الوسيط للإمام الأكبر محمد سيد طنطاوي (٧/٣٤٠).

ورحم الله الإمام الرازي الذي فصّل القول في ذلك فذكر أن كل من كان له تعلق بتلك الواقعة قد شهد ببراءة يوسف عليه السلام من المعصية، والذين لهم تعلق بهذه الواقعة يوسف عليه السلام، وتلك المرأة، وزوجها، والنسوة، والشهود، ورب العالمين شهد ببراءته، وإبليس أقر ببراءته أيضًا عن المعصية. أما بيان أن يوسف عليه السلام ادعى البراءة عن الذنب فهو قوله عليه السلام: "هِيَ راوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي"[يوسف: ٢٦]، وقوله عليه السلام: "رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ"[يوسف: ٣٣]، وأما بيان أن المرأة اعترفت بذلك فلأنها قالت للنسوة: "وَلَقَدْ راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ"[يوسف: ٣٢]، وأيضًا قالت: "الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ"[يوسف: ٥١]، وأما بيان أن زوج المرأة أقر بذلك، فهو قوله: "إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هذا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ"[يوسف: ٢٨، ٢٩] وأما الشهود فقوله تعالى: "وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ أَهْلِها إِنْ كانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكاذِبِينَ"[يوسف: ٢٦]، وأما شهادة الله تعالى بذلك فقوله: "كَذلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُخْلَصِينَ"[يوسف: ٢٤]، فقد شهد الله في هذه الآية على طهارته أربع مرات: أولها: قوله: "لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ" واللام للتأكيد والمبالغة. والثاني: قوله: "وَالْفَحْشاءَ" أي: كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء. والثالث: قوله: "إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا" والرابع: قوله: "الْمُخْلَصِينَ" وفيه قراءتان: تارة باسم الفاعل وأخرى باسم المفعول[1] فوروده باسم الفاعل يدل على كونه آتيًا بالطاعات مع صفة الإخلاص. ووروده باسم المفعول يدل على أن الله تعالى

---

(١) اختلفوا في "الْمُخْلَصِينَ" حيث وقع، وفي "مُخلَصًا" في مريم، فقرأ الكوفيون بفتح اللام منهما، وافقهم المدنيان في "الْمُخْلَصِينَ"، وقرأ الباقون بكسر اللام فيهما اهـ النشر في القراءات العشر (٢/٢٩٥)

استخلصه لنفسه، وعلى كلا الوجهين فإنه من أدل الألفاظ على كونه منزهًا عما أضافوه إليه، وأما بيان أن إبليس أقر بطهارته، فلأنه قال: " فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ"[ص: ٨٢، ٨٣] فأقر بأنه لا يمكنه إغواء المخلصين، ويوسف من المخلصين؛ لقوله تعالى: " إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُخْلَصِينَ"، فكان هذا إقرارًا من إبليس بأنه ما أغواه، وما أضله عن طريقة الهدى، وعند هذا نقول: هؤلاء الجهال الذين نسبوا إلى يوسف عليه السلام هذه الفضيحة، إن كانوا من أتباع دين الله تعالى فليقبلوا شهادة الله تعالى على طهارته، وإن كانوا من أتباع إبليس وجنوده فليقبلوا شهادة إبليس على طهارته، ولعلهم يقولون كنا في أول الأمر تلامذة إبليس إلى أن تخرجنا عليه فزدنا عليه في السفاهة(١).

*****

المثال العاشر: قوله تعالى: "وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلا مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ"[يوسف: ٥٣].

يوافق سياق الآية الكريمة سباقًا ولحاقًا أن "وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ... " من كلام امرأة العزيز، قالت ذلك في معرض اعترافها بجنايتها وبراءة نبي الله يوسف عليه السلام، وذلك في مجلس التحقيق الذي عقده الملك خصيصًا للنظر في أمر نبي الله يوسف عليه السلام.

لكن ورد في بعض التفاسير أن ذلك من قول نبي الله يوسف عليه السلام، ويستدل بعض الكاتبين على ذلك بآثار ينسبونها إلى الصحابة والتابعين؛ منها ما أخرجه ابن جرير بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لما جمع الملك النسوة فسألهن: هل راودتُن يوسف عن نفسه؟ قلن حَاشَ لله، ما علمنا عليه من سوء! قالت امرأة العزيز: "الآنَ حَصْحَصَ الحَقُّ ..."

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (١٨/٤٤٠).

الآية. قال يوسف: "ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَم أَخُنْهُ بِالغَيبِ"، قال: فقال له جبريل: ولا يوم هممت بما هممت! فقال: "وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ"(١).

والحق أن نسبة ذلك إلى نبي الله يوسف عليه السلام من بدع التفاسير؛ بناء على ما سبق من شهادات كل الذين ورد ذكرهم في القصة بنزاهة نبي الله وطهارته، ولأن سياق المقطع القرآني يدل على ذلك بوضوح شديد؛ ففي سباق الآية حديث عن رؤيا الملك وتأويل نبي الله لهذه الرؤيا، وحينئذ عرف الملك لنبي الله فضله ومكانته، وأن مثله لا ينبغي أن يكون في السجن، فأرسل إليه من يأتي به إلى مجلسه، فلما جاء الرسول لإحضاره، رفض أن يخرج من السجن حتى تظهر براءته أمام الجميع مما نسب إليه، وقال للرسول: ارجع إلى ربك فاسأله عن هؤلاء النسوة اللاتي قطعن أيديهن.

وعاد الملك بتلك الرسالة إلى الملك، فعقد الملك مجلسًا للتحقيق، واستدعى النسوة وسألهن عن أمر المراودة، فشهد هؤلاء النسوة ببراءة يوسف عليه السلام وطهارته، فلم تجد امرأة العزيز بدًّا من الاعتراف ببراءته ونزاهته، وقالت ما جاء على لسانها في هاتين الآيتين. وفي لحاق الآية خبر عن إرسال الملك رسوله مرة أخرى إلى نبي الله يوسف عليه السلام لإحضاره ليكون من خاصة الملك وأهل مشورته.

ولا ريب أن المقطع كله لم يخبر عن وجود نبي الله يوسف عليه السلام في مجلس التحقيق الذي عقده الملك؛ لأنه كان أثناء انعقاد ذلك المجلس في السجن لم يبرحه؛ إذ لو كان حاضرًا فما الداعي أن يرسل إليه الملك رسوله مرة أخرى، فكيف ينسب إليه قول في هذا المجلس وهو غير حاضر فيه؟!

---

(١) جامع البيان (١٤٣/١٦).

وقد نص الحافظ ابن كثير على كون الخبر عن امرأة العزيز؛ لأنه الأنسب لسياق القصة، فقال: " .... وقوله تعالى: "قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ" إخبار عن الملك حين جمع النسوة اللاتي قطعن أيديهن عند امرأة العزيز، فقال مخاطبًا لهن كلهن –وهو يريد امرأة وزيره، وهو العزيز –: "مَا خَطْبُكُنَّ" أي: شأنكن وخبركن "إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ" يعني: يوم الضيافة؟ "قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ" أي: قالت النسوة جوابا للملك: حاش لله أن يكون يوسف متهمًا، والله ما علمنا عليه من سوء. فعند ذلك" قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ" قال ابن عباس، ومجاهد، وغير واحد: تقول الآن تبين الحق وظهر وبرز "أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ" أي: في قوله: "هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي" "ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ" تقول: إنما اعترفت بهذا على نفسي، ذلك ليعلم زوجي أن لم أخنه في نفس الأمر، ولا وقع المحذور الأكبر، وإنما راودت هذا الشاب مراودة فامتنع؛ فلهذا اعترفت ليعلم أني بريئة "وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي" تقول المرأة: ولست أبرئ نفسي؛ فإن النفس تتحدث وتتمنى؛ ولهذا راودته لأنها أمارة بالسوء "إِلا مَا رَحِمَ رَبِّي" أي: إلا من عصمه الله تعالى "إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ". وهذا القول هو الأشهر والأليق والأنسب بسياق القصة ومعاني الكلام"[1].

ثم ذكر الحافظ ابن كثير القول الآخر، الذي ينسب "وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ..." إلى نبي الله يوسف عليه السلام، وأكد أن القول الأول هو الأقوى والأظهر؛

(١) تفسير القرآن العظيم (٣٩٤/٤).

لأن سياق الكلام كله من كلام امرأة العزيز في مجلس الملك، ولم يكن يوسف عليه السلام عندهم حينئذ، بل بعد ذلك أحضره الملك ليكون من المقربين إليه(١).

*****

المثال الحادي عشر: قال تعالى: " لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ"[الحجر: ٧٢].

أقسم الله في هذه الآية بحياة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن قوم نبي الله لوط عليه السلام في غوايتهم التي أذهبت عقولهم يتحيرون.

واختار بعض المفسرين أن الخطاب لنبي الله لوط عليه السلام، وحكوا القول الراجح بصيغة التضعيف(٢)، ومن المفسرين من اكتفى بالقول المرجوح ولم يذكر القول الراجح(٣)، ومنهم من جعل ضمائر الغيبة في الآية الكريمة

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٣٩٥/٤).

(٢) ينظر: الكشاف (٥٨٥/٢)، مفاتيح الغيب (١٥٦/١٩)، مدارك التنزيل (١٩٦/٢).

(٣) ينظر: تفسير المراغي (٣٨/١٤)، تيسير التفسير (١٧٢/٢). والمراغي هو الأستاذ أحمد بن مصطفى المراغي شقيق شيخ الأزهر محمد مصطفى المراغي، مفسر مصري، تخرج بدار العلوم سنة ١٩٠٩ ثم كان مدرس الشريعة الإسلامية بها، وتوفي بالقاهرة ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م. له كتب، منها: الحسبة في الإسلام، والوجيز في أصول الفقه، وتفسير المراغي. ينظر: الأعلام للزركلي (٢٥٨/١).

وكتاب تيسير التفسير للقراءة والفهم المستقيم للشيخ عبد الجليل عيسى أبو النصر من أعلام المالكية في عصره، ولد ١٣٠٦هـ / ١٨٨٨م، درس بالأزهر الشريف على النظام القديم حتى ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م، ثم درس على النظام الحديث حتى تخرج ونال=

لقريش[١].

وما عليه الجمهور أن الخطاب لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل حكى القاضي ابن العربي فيه الإجماع[٢]، وأن ضمائر الغيبة في الآية لقوم نبي الله لوط عليه السلام، وهذا هو الأنسب للسياق للأسباب الآتية:

أولًا: أن المخاطبات الإلهية الواردة في هذا المقطع القرآني سباقًا ولحاقًا لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالأنسب للسياق أن يكون هذا الخطاب أيضًا لحضرته صلوات الله عليه، أما السباق فالخطاب له في قوله تعالى: " نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ"[الحجر: ٤٩، ٥٠]، والمخاطبات بعد هاتين الآيتين مخاطبات الملائكة لنبي الله لوط عليه السلام. وأما اللحاق فالمخاطبات كلها لسيد الخلق صلوات ربي عليه من قوله تعالى: "وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ. إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ"[الحجر: ٨٥، ٨٦] إلى آخر السورة الكريمة.

ومن ثم نص الإمام ابن القيم على أن أكثر المفسرين من السلف والخلف يرون أن هذا قسم من الله بحياة رسوله، وأن هذا من أعظم فضائله صلوات الله عليه، أن يقسم الرب عز وجل بحياته، وهذه مزية لا تُعرف لغيره. وذكر أن

=شهادة العالمية ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م، تم تعيينه شيخًا لكلية أصول الدين ١٩٤٦م، ثم شيخًا لكلية اللغة العربية ١٩٤٧م، له كتب منها: تيسير التفسير، اجتهاد الرسول، صفوة صحيح البخاري. توفي يوم الجمعة أول رمضان ١٤٠١هـ / ٢ يوليو ١٩٨١م. ينظر: مقدمة تيسير التفسير (١٣/١).

(١) ينظر: جامع البيان (١١٨/١٧).

(٢) ينظر: أحكام القرآن (١٠٥/٣).

الإمام الزمخشري لم يوافق على ذلك، فصرف القَسَم إلى أنه بحياة لوط، وأنه من قول الملائكة، ثم رد قوله؛ إذ ليس في اللفظ ما يدل على واحد من الأمرين، بل ظاهر اللفظ وسياقه إنما يدل على أن ما فهمه السلف أطيب، لا أهل التعطيل والاعتزال(١).

ثانيًا: أخرج الإمام الواحدي بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: ما خلق الله عز وجل ولا ذرأ ولا برأ نفسًا أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم، وما سمعت الله أقسم بحياة أحدٍ إلا بحياته، قال: " لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ"(٢).

ثالثًا: دلالة السياق القرآني على أن ضمائر الغيبة لقوم نبي الله لوط عليه السلام، ولم يرد في الآيات ذكر لقريش حتى تعود الضمائر إليهم، ولذلك تعقب القاضي ابن عطية شيخ المفسرين الطبري في جعله الضمائر لقريش؛ فذكر أن الضمائر يراد بها قوم لوط المذكورون، وأن قول الإمام الطبري أن المراد قريش بعيد؛ لأنه ينقطع مما قبله ومما بعده"(٣).

*****

المثال الثاني عشر: قوله تعالى: "وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ. ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ"[النحل: ٦٨، ٦٩].

معني الآيتين: وألهم ربك النحل أن تتخذ من كهوف الجبال بيوتًا، ومن

---

(١) ينظر: التبيان في أقسام القرآن صـ ٤٢٩.

(٢) الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٣/٤٩).

(٣) ينظر: المحرر الوجيز (٣/٣٧٠).

أغصان الشجر، ومما يعرشون بيوتًا كذلك. وأن تأكل من كل ثمرات الشجر والنبات، وأن تسلك طرقًا هيأها لها ربها مذللة سهلة، فيخرج من بطونها عسل مختلف ألوانه فيه شفاء للناس، إن في ذلك الصنع العجيب لأدلة قوية على وجود الله ينتفع بها من يتفكرون في بديع صنعه.

وزعم بعض الرافضة أن المراد بالنحل عليٌّ وقومُه، وعن بعضهم أنه قال عند المهدى: إنما النحل بنو هاشم، يخرج من بطونهم العلم(١). وأخرج الإمام الطبري بسنده عن مجاهد أن المراد بقوله تعالى: " فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ": في القرآن شفاء(٢).

ومن نظر في دلالة سياق الآيتين أدرك بأدنى تأمل أن القولين مردودان للأسباب الآتية:

أولًا: أن سورة النحل إنما سميت بذلك؛ لأن مقصودها الدلالة على أنه تعالى تام القدرة والعلم، فاعل بالاختيار، منزه عن شوائب النقص، وأدل ما فيها على هذا المعنى أمر النحل؛ لما ذكر من شأنها، في ترتيب بيوتها ورعيها وسائر أمرها، من اختلاف ألوان ما يخرج منها من أعسالها، وجعله شفاءً مع أكلها من الثمار النافعة والضارة، وغير ذلك من الأمور، ووسمها بالنعم واضح في ذلك(٣).

ثانيًا: أن حمل لفظ النحل على أمير المؤمنين عليّ وآله مما يأباه سياق الآية، ولذلك أورد الإمام الطاهر بن عاشور أن من لطيف النوادر ما في كتاب الكشاف : أن من تأويلات الروافض أن المراد بالنحل في الآية علي وآله. وعن

---

(١) ينظر: الكشاف (٦١٩/٢).

(٢) ينظر: جامع البيان (٢٥٠/١٧).

(٣) ينظر: نظم الدرر (١٠١/١١).

بعضهم أنه قال عند المهدي: إنما النحل بنو هاشم يخرج من بطونهم العلم، فقال له رجل: جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطون بني هاشم، فضحك المهديّ، وحدث به المنصور، فاتخذوه أضحوكة من أضاحيكهم(١).

ثالثًا: أن عود الضمير في قوله تعالى: " فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ" إلى القرآن الكريم يتنافى مع سياق الآية أيضًا؛ لأن الضمير يعود إلى أقرب مذكور، والأقرب في الآية الشراب المراد به العسل، ومن ثم رأى الإمام الطبري أن عود الضمير إلى العسل أولى بتأويل الآية؛ لأن قوله: "فِيهِ" في سياق الخبر عن العسل، فكون الهاء من ذكر العسل، لكونها في سياق الخبر عنه أولى من غيره(٢). وذكر القاضي ابن العربي أن ما ورد عن مجاهد والحسن والضحاك من عود الهاء في قوله: " فِيهِ " على القرآن الكريم بعيدٌ، لا يراه يصح عنهم؛ ولو صح نقلًا لم يصح عقلًا؛ لأن مساق الكلام كله للعسل، ليس للقرآن فيه ذكر؛ وكيف يرجع ضمير في كلام إلى ما لم يجر له ذكر فيه، وإن كان كله منه؟ ولكنه إنما يراعى مساق الكلام ومنحى القول، ثم ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم حسم ذلك الإشكال، وأزاح وجه الاحتمال، حين أمر الذي يشتكي بطنه بشرب العسل، فلما أخبره بأن العسل ما زاده إلا استطلاقًا، أمره النبي صلى الله عليه وسلم بالعود، وقال له: "صدق الله، وكذب بطن أخيك"(٣).

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١٤/٢١٠).

(٢) ينظر: جامع البيان (١٧/٢٥٠).

(٣) ينظر: أحكام القرآن (٣/١٣٨). ولفظ الحديث: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن أخي استطلق بطنه، فقال: "اسقه عسلًا" فسقاه، فقال: إني سقيته فلم يزده إلا استطلاقًا، فقال: "صدق الله وكذب بطن أخيك" اهـ صحيح الإمام البخاري، كتاب الطب، باب دواء المبطون (٧/١٢٨)ح: ٥٧١٦. ولفظ الإمام مسلم: جاء رجل إلى النبي صلى=

ورحم الله الحافظ ابن كثير الذي قال عند تفسير هذه الآية: " .... وقال مجاهد وابن جرير في قوله: " فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ" يعني القرآن، وهذا قول صحيح في نفسه، ولكن ليس هو الظاهر هاهنا من سياق الآية؛ فإن الآية إنما ذكر فيها العسل، ولم يتابع مجاهد على قوله هاهنا، وإنما الذي قاله ذكروه في قوله تعالى: "وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ"[الإسراء: ٨٢]، وقوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفاءٌ لِما فِي الصُّدُورِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ" [يونس: ٥٧][(١)].

*****

المثال الثالث عشر: قوله تعالى: "سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بارَكْنا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ "[الإسراء: ١].

معنى الآية: يمجد تعالى نفسه، ويعظم شأنه، لقدرته على ما لا يقدر عليه أحد سواه، الذي أسرى بعبده محمدًا صلى الله عليه وسلم، في جُنْح الليل من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وهو بيت المقدس، الذي باركنا حوله

=الله عليه وسلم فقال: إن أخي استطلق بطنه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اسقه عسلًا" فسقاه، ثم جاءه فقال: إني سقيته عسلًا فلم يزده إلا استطلاقًا، فقال له ثلاث مرات، ثم جاء الرابعة فقال: "اسقه عسلا" فقال: لقد سقيته فلم يزده إلا استطلاقًا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "صدق الله، وكذب بطن أخيك" فسقاه فبرأ اهـ صحيح الإمام مسلم، كتاب الآداب، باب التداوي بشرب العسل (١٧٣٦/٤) ح: ٢٢١٧. ومعنى " استطلق بطنه": كثر خروج ما فيه يريد الإسهال، ومعنى كذب بطن أخيك: أي: لم يصلح لقبول الشفاء بل زل عنه اهـ فتح الباري لابن حجر (١٦٩/١٠).

(١) تفسير القرآن العظيم (٤٩٩/٤).

لنريه من آياتنا العظام، إنه هو السميع لأقوال عباده مؤمنهم وكافرهم، البصير بهم فيعطي كلًّا منهم ما يستحقه في الدنيا والآخرة(١).

وقد وقع الإسراء والمعراج بالروح والجسد معجزة له صلوات ربي عليه، لكن البعض نفى ذلك، وزعم أن الإسراء والمعراج رؤيا منام، وهو قول مردود، ومن أدلة بطلانه ما ورد في سياق الآية الكريمة:

أولًا: افتتحت الآية بالتسبيح، والمراد تنزيه الله تعالى عن كل ما لا يليق به، وهذا دليل على كمال القدرة الإلهية على إيجاد الأشياء التي يستعظمها البعض، ومن ذلك ما كان في معجزة الإسراء والمعراج، ولذلك أضيف المصدر إلى الاسم الموصول، فقد ذكر العلامة أبو السعود أن إضافةُ التنزيه أو التنزّه إلى الموصول المذكورِ؛ للإشعار بعلية مَا في حيزِ الصلةِ للمضاف، فإن ذلك من أدلة كمال قدرته وبالغ حكمته ونهايةِ تنزهه عن صفات المخلوقين(٢).

ثانيًا: ورد الفعل "أَسْرَى" الذي يدل على السير ليلًا، ولا سير إلا بالروح والجسد، ورؤيا المنام لا يعبر عنها بذلك الفعل.

ثالثًا: إضافة لفظ عبد إلى ضمير الجلالة إضافة تشريف لمقامه صلى الله عليه وسلم، والعبد مجموع الروح والجسد، وقد استدل الإمام الرازي على ذلك بآيات، منها: قوله تعالى: "أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهى. عَبْدًا إِذا صَلَّى"[الْعَلَقِ: ٩، ١٠]، وقوله تعالى: "وَأَنَّهُ لَمَّا قامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا" [الْجِنِّ: ١٩](٣).

رابعًا: استدلال البعض بلفظ "الرُّؤْيَا" الوارد في سياق السورة الكريمة: "وَمَا

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير (٣/٥).

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم (١٥٤/٥).

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب (٢٩٦/٢٠).

جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ"[الإسراء: ٦٠] على أن معجزة الإسراء والمعراج رؤيا منام يأباه السياق؛ إذ لو كانت رؤيا منام لما كانت فتنة للناس، ولما كذبت قريش بها وشنعت عليه صلوات ربي عليه، ولذلك ذكر القاضي عياض أن قوله: "فِتْنَةً لِلنَّاسِ" يؤيد أنها رؤيا عين وإسراء بشخص؛ إذ ليس في الحُلم فتنة، ولا يكذب به أحد؛ لأن كل أحد يرى مثل ذلك في منامه من الكون في ساعة واحدة في أقطار متباينة، على أن المفسرين قد اختلفوا في هذه الآية فذهب بعضهم إلى أنها نزلت في قضية الحديبية وما وقع في نفوس الناس من ذلك(١).

خامسًا: استدلال البعض بما روي عن عائشة ومعاوية رضي الله عنهما لا ينهض دليلًا على القول بأن الإسراء والمعراج رؤيا منام؛ فقد نص الشيخ أبو حيان على ذلك فقال: " وما روي عن عائشة ومعاوية أنه كان مناما فلعله لا يصح عنهما، ولو صح لم يكن في ذلك حجة لأنهما لم يشاهدا ذلك لصِغر عائشة وكفر معاوية إذ ذاك، ولأنهما لم يسندا ذلك إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ولا حدثا به عنه"(٢).

*****

المثال الرابع عشر: قوله تعالى: " يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا"[الإسراء: ٧١].

معنى الآية: واذكر يوم ندعو كل أناس بكتابهم الذي فيه أعمالهم التي قدّموها، فينادون: يا أصحاب كتاب الخير، ويا أصحاب كتاب الشر، فمن أعطى كتاب عمله بيمينه فأولئك يقرأون كتابهم مبتهجين فرحين بما فيه من

---

(١) ينظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١/١٩١).

(٢) البحر المحيط (٧/٨).

العمل الصالح، ولا ينقصون شيئًا من أجور أعمالهم(١).

وذكر الإمام الزمخشري أن من بدع التفاسير: أن الإمام جمع أمّ، وأن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم، وأن الحكمة في الدعاء بالأمهات دون الآباء رعاية حق عيسى عليه السلام، وإظهار شرف الحسن والحسين، وأن لا يفتضح أولاد الزنا. ثم تعقبه بقوله: "وليت شعري أيهما أبدع؟ أصحة لفظه أم بهاء حكمته؟!"(٢).

ولا ريب أن هذا القول من بدع التفاسير؛ لأنه لا يصح أن يقال إن إمامًا جمع أم؛ لأنه مفرد يجمع على أمهات كما ورد في غير آية من كتاب الله تعالى، ومن ثم عدّ الحافظ السيوطي في الإتقان علم التصريف من العلوم التي يحتاج المفسر إلى إتقانها؛ لأنه العلم الذي تعرف به الأبنية والصيغ، ثم أورد قول الإمام الزمخشري هنا، وبيّن أن هذا الغلط أوجبه جهل بالتصريف؛ فإن "أمًّا" لا تجمع على "إمام"(٣).

ويظهر لي أن القول الذي يناسب سياق الآية، هو أن المراد بالإمام هنا كتاب الأعمال، فينادون يوم القيامة: يا أصحاب كتاب الخير، ويا أصحاب كتاب الشر؛ لأنه أنسب للحاق، وهو قوله تعالى: " فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا".

وقد نص الحافظ ابن كثير على ذلك، محتجًّا بما ورد في سياق الآية أولًا، وما ورد في سور القرآن الكريم ثانيًا، وما ورد في السنة المشرفة ثالثًا، أما

---

(١) ينظر: البحر المحيط (٨٧/٧)، التفسير الواضح (٧٧/١٥).

(٢) ينظر: الكشاف (٦٨٢/٢).

(٣) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، النوع الثامن والسبعون: في معرفة شروط المفسر وآدابه (٢١٣/٤).

الاحتجاج بسياق الآية فهو قوله تعالى: " فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا"، وأما ما ورد في سور القرآن الكريم فقوله تعالى: "وَوُضِعَ الْكِتابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ" [الكهف: ٤٩]، وقوله تعالى: "وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْناهُ فِي إِمامٍ مُبِينٍ"[يس: ١٢]، وقوله عز وجل: " وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعى إِلى كِتابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. هَذَا كِتابُنا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ" [الْجَاثِيَةِ: ٢٨- ٢٩]، وأما احتجاجه على ذلك بالسنة، فقد استدل بما أخرجه الإمام البزار بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، في قول الله تعالى: " يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ " قال: "يُدعى أحدهم فيعطى كتابه بيمينه، ويُمد له في جسمه، ويُبيض وجهه، ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤة يتلألأ، فينطلق إلى أصحابه، فيرونه من بعيد، فيقولون: اللهم ائتنا بهذا، وبارك لنا في هذا، فيأتيهم فيقول لهم: أبشروا فإن لكل رجل منكم مثل هذا، وأما الكافر فيُسود وجهه، ويُمد له جسمه، ويراه أصحابه فيقولون: أعوذ بالله من هذا، أو من شر هذا، اللهم لا تأتنا به، فيأتيهم، فيقولون: اللهم أخزه، فيقول: أبعدكم الله فإن لكل رجل منكم مثل هذا"(١).

فإن قلت: لماذا ذكر الله تعالى من يأخذ كتابه بيمينه ولم يذكر من يأخذ كتابه بشماله؟

قلت: ذكر الشيخ أبو حيان أن قسيم من يأخذ كتابه بيمينه جاء في قوله تعالى: "وَمَنْ كانَ فِي هذِهِ أَعْمى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمى وَأَضَلُّ سَبِيلًا"[الإسراء:

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٥/٩٠)، والحديث في مسند البزار (١٧/١٣١)ح: ٩٧١٧، وأخرجه الإمام الترمذي، في أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة بني إسرائيل (٥/٣٠٢)ح: ٣١٣٦ وقال: هذا حديث حسن غريب.

٧٢]؛ لأن من أوتي كتابه بيمينه هم أهل السعادة، ومن كان في هذه أعمى هم أهل الشقاوة(١).

*****

المثال الخامس عشر: قوله تعالى: " وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جاءَهَا الْمُرْسَلُونَ. إِذْ أَرْسَلْنا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُما فَعَزَّزْنا بِثالِثٍ فَقالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ"[يس: ١٣، ١٤].

معنى الآيتين: واذكر يا محمد لقومك الذين كذبوك قصة أصحاب القرية، حين جاءتهم رسلنا الذين أرسلناهم لهدايتهم، اذكر حين بعثنا إليهم رسولين فبادروهما بالتكذيب، فشددنا أزرهما برسولٍ ثالث، فقالوا: نحن رسل الله مرسلون لهدايتكم.

وذكر الإمام الزمخشري – وتبعه في ذلك القاضي البيضاوي والعلامة أبوالسعود – أن الرسل الثلاثة كانوا رسل المسيح عيسى عليه السلام، أرسلهم إلى أهل تلك القرية، وأن نسبة إرسالهم إليه تعالى بناء على أنه كان بأمره عز وجل(٢).

ويظهر لي أن الذي يناسب سياق الآيات الكريمة وسياق القرآن الكريم، هو أنهم رسل الله تبارك وتعالى، وذلك للأسباب الآتية:

أولًا: جاء في سياق الآيات الكريمة أن المرسلين قالوا لمن أرسلوا إليهم: إنا إليكم مرسلون، ولو كانوا رسل المسيح لقالوا ما يدل على أنهم رسل المسيح عيسى عليه السلام.

ثانيًا: جاء في سياق الآيات أيضًا أن أهل القرية قالوا للمرسلين: "إِنْ أَنْتُمْ

---

(١) **ينظر: البحر المحيط (٨٧/٧).**

(٢) **ينظر: الكشاف (٧/٤)، أنوار التنزيل (٢٦٤/٤)، إرشاد العقل السليم (١٦٠/٧).**

إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنا"، وهذه الجملة لا تقال إلا لمن كانوا رسل الله عز وجل، كما ورد في كثير من آيات قصص الأنبياء في القرآن الكريم.

ثالثًا: جاء في سياق الآيات كذلك أن أهل القرية قالوا للمرسلين: "وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ"، وهذه تدل دلالة واضحة على أنهم رسل الله تعالى؛ لأن أهل القرية زعموا عدم نزول الوحي إليهم، ورموهم بالكذب، وهذا شأن الجاحدين الذين يعترفون يوم القيامة بما وقع منهم في الدنيا من تكذيب وافتراء: " قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ"[الملك: ٩].

رابعًا: أن المرسلين ردوا على اتهامهم بالكذب "قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ. وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ"[يس: ١٦، ١٧].

ومن ثم استظهر القاضي ابن عطية أنهم رسل الله تعالى؛ إذ قول الكفرة: "مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنا" محاورة إنما تقال لمن ادعى الرسالة عن الله تعالى(١)، واستظهر الشيخ أبو حيان أنهم رسل الله تعالى لذات السبب الذي ذكره القاضي ابن عطية(٢)، وذكر الحافظ ابن كثير ما برهن به على أنهم رسل الله تعالى؛ فقال ما ملخصه: " ظاهر القصة يدل على أن هؤلاء كانوا رسل الله عز وجل، لا من جهة المسيح عليه السلام، كما قال تعالى: "إِذْ أَرْسَلْنا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُما فَعَزَّزْنا بِثالِثٍ فَقالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ" إلى أن قالوا: "رَبُّنا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ وَما عَلَيْنا إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ"، ولو كان هؤلاء من الحواريين لقالوا عبارة تناسب أنهم من عند المسيح عليه السلام، ثم لو كانوا رسل المسيح لما قالوا

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز (٤/٤٤٩).

(٢) ينظر: البحر المحيط (٩/٥٣).

لهم: "مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنا"(١).

*****

المثال السادس عشر: قوله تعالى: "قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ"[ص: ٢٤].

معنى الآية: قال نبي الله داود عليه السلام لمن تحاكم إليه في شأن النعاج: لقد ظلمك أخوك صاحب النعاج الكثيرة، بطلب ضم نعجتك إلى نعاجه، وإن كثيرًا من الشركاء ليعتدي بعضهم على بعض، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فإنهم لا يفعلون ذلك لقوة إيمانهم، وما أقل هؤلاء المؤمنين الذين يحرصون على إعطاء كل ذي حق حقه، وظن نبي الله داود عليه السلام أن دخول الخصمين عليه بهذه الطريقة، إنما هو لأجل الاعتداء عليه. وأن ذلك لون من ابتلاء الله له، وامتحانه لقوة إيمانه، ولكن لما لم يتحقق هذا الظن، استغفر ربه من ذلك الظن، وخر ساجدا لله- تعالى- ورجع داود إلى الله بالتوبة وبالمداومة على العبادة والطاعة(٢).

وقد أورد بعض المفسرين في فتنة نبي الله داود عليه السلام قصة مكذوبة ملخصها أنه عليه السلام كان يصلى في محرابه، ثم تطلع من نافذة المكان الذي كان يصلى فيه، فرأى امرأة جميلة فأرسل إليها فجاءته، فسألها عن زوجها، فأخبرته بأن زوجها اسمه أوريا، وأنه خرج مع الجيش الذي يحارب الأعداء، فأمر داود عليه السلام قائد الجيش أن يجعله في المقدمة؛ لكي يكون

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٥٠٩/٦).

(٢) ينظر: التفسير الوسيط للإمام محمد سيد طنطاوي (١٤٨/١٢).

عرضة للقتل، وبعد قتله تزوج داود بتلك المرأة[١].

وهذه قصة واهية نقلًا وعقلًا، يأباها سياق المقطع القرآني الذي وردت فيه القصة للأسباب الآتية:

أولًا: لم تثبت القصة من طريق يجب اتباعه، بل الثابت أنها مفتراة على نبي من أنبياء الله عليهم السلام، وقد ذكر الحافظ ابن كثير أن أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات، ولم يثبت فيها عن المعصوم صلوات ربي عليه حديث يجب اتباعه، ولكن روى ابن أبي حاتم[٢] حديثًا لا يصح سنده؛ لأنه من رواية يزيد الرقاشي[٣] عن أنس رضي الله عنه، ويزيد وإن كان من الصالحين، لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة[٤].

ثانيًا: قال الإمام البقاعي: "وتلك القصة وأمثالها من كذب اليهود، وأخبرني

---

(١) ينظر: جامع البيان (١٨١/٢١)، الكشف والبيان (١٨٥/٨)، معالم التنزيل (٥٨/٤)، الكشاف (٨٠/٤)، المحرر الوجيز (٤٩٨/٤)، الجامع لأحكام القرآن (١٦٦/١٥)، الجواهر الحسان (٦٢/٥).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم للإمام ابن أبي حاتم (٣٢٣٩/١٠).

(٣) يزيد بن أبان الرقاشي، أبو عمرو البصري، القاص، الزاهد، روى عن أبيه، وأنس بن مالك، وغنيم بن قيس، وأبي الحكم البجلي، والحسن البصري، وقيس بن عباية، قال ابن سعد: كان ضعيفًا قدريًا، وقال عمرو بن علي: كان يحيى بن سعيد لا يحدث عنه، وكان عبد الرحمن يحدث عنه، وقال: كان رجلًا صالحًا، وقد روى عنه الناس، وليس بالقوي في الحديث، وقال البخاري: تكلم فيه شعبة، وقال إسحاق بن راهويه عن النضر بن شميل: قال شعبة: لأن أقطع الطريق أحب إلى من أن أروى عن يزيد، وقال يزيد بن هارون: سمعت شعبة يقول: لأن ازني أحب إلى من أن أحدث عن يزيد الرقاشي. ينظر: تهذيب التهذيب (٣١٠/١١).

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير (٥١/٧).

بعض من أسلم منهم أنهم يتعمدون ذلك في حق داود عليه السلام؛ لأن عيسى عليه السلام من ذريته ليجدوا السبيل إلى الطعن فيه"[١].

ثالثًا: أن هذه المعاصي يتنزه عنها كثير من الناس، فكيف تصدر عن واحد من أعلام الأنبياء المعصومين؟! أين حفظ الله ظواهر الرسل وبواطنهم من التلبس بمنهي عنه؟! ومن ثم ذكر الإمام الزمخشري أن المذكور في القصة، مما يقبح أن يُحدَّث به عن بعض المتسمين بالصلاح، فضلًا عن بعض أعلام الأنبياء[٢].

رابعًا: أن الناظر في سياق المقطع القرآني – سباقًا ولحاقًا – يدرك سمو نبي الله داود عليه السلام عن ارتكاب هذه الأفعال المشينة التي وردت في تلك القصة، وقد أطال الإمام الرازي في بيان صفات هذا النبي الصالح التي وردت في سياق القصة، وهذه الصفات– بإيجاز– أن الله أمر الحبيب محمدًا صلى الله عليه وسلم – على جلالة قدره عند ربه – بأن يقتدي في الصبر على طاعة الله بداود عليه السلام، وأنه قال في حقه: "عَبدَنَا دَاوُدَ" فوصفه بكونه عبدًا له، وعبر عن نفسه بصيغة الجمع الدالة على نهاية التعظيم، وذلك غاية التشريف، وقال: "ذَا الأَيْدِ" أي: ذا القوة على أداء الطاعة والاحتراز عن المعاصي، وقد كان يقوم الليل ويصوم نصف الدهر[٣]، وقال: "إِنّهُ أَوَّابٌ" أي: أن داود كان

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٣٦٢/١٦).

(٢) ينظر: الكشاف (٨١/٤).

(٣) والدليل على ذلك ما أخرجه الإمام البخاري بسنده عن عبد الله بن عمرو، قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أحب الصيام إلى الله صيام داود، كان يصوم يومًا ويفطر يومًا، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود، كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه" اهـ صحيح الإمام البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: أحب الصلاة إلى الله صلاة داود، وأحب الصيام إلى الله صيام داود (١٦١/٤)ح: ٣٤٢٠.

رجَّاعًا في أموره كلها إلى طاعتي، وقال: "إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْراقِ" أي: أن الله سبحانه خلق في جسم الجبل حياةً وعقلًا وقدرةً ومنطقًا، وحينئذ صار الجبل مسبحًا لله تعالى، وقال: " وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ" أي: كان داود إذا سبح جاوبته الجبال واجتمعت إليه الطير فسبحت معه، وقال: " وَشَدَدْنا مُلْكَهُ" أي: قويناه، وقال: "وَآتَيْناهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطابِ" أي: أعطيناه العلم النافع والعمل الأصلح الأصوب بمصالح الدنيا والآخرة، وجعلناه قادرًا على التعبير عن كل ما يخطر بالبال ويحضر في الخيال؛ فهل يقبل العقل السليم أن ينسب إليه ما ورد في تلك القصة بعد هذه الصفات الطيبة والخصال الحميدة؟!(١).

ويواصل الإمام الرازي رد هذه القصة من خلال السياق، ففي سباق القصة عدة نقاط تدل على ذلك:

أولها: إذا قلنا إن داود لم يصبر على مخالفة النفس، بل سعى في إراقة دم امرئ مسلم لغرض شهوته، فكيف يليق بأحكم الحاكمين أن يأمر محمدًا – صلوات الله وسلامه عليه– أفضل الرسل – بأن يقتدي بداود في الصبر على طاعة الله؟!

ثانيها: لو قلنا إن داود عليه السلام اشتغل بتلك الأعمال الباطلة، فحينئذ ما كان داود كاملًا في عبوديته لله تعالى، بل كان كاملًا في طاعة الهوى والشهوة.

ثالثها: "ذَا الأَيْدِ" أي: ذا القوة، ولا شك أن المراد منه القوة في الدين؛ لأن القوة في غير الدين كانت موجودة في ملوك الكفار، ولا معنى للقوة في الدين إلا القوة الكاملة على أداء الواجبات واجتناب المحظورات، وأي قوة لمن لم يملك نفسه عن القتل والرغبة في زوجة المسلم؟!

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (٣٧٤/٢٦).

رابعها: كونه أوابًا كثير الرجوع إلى الله تعالى، وكيف يليق هذا بمن يكون قلبه مشغوفًا بالقتل والفجور؟!

خامسها: أنه تعالى سخر الجبال معه، أفترى أنه سخرت له الجبال ليتخذه وسيلة إلى القتل والفجور؟!

سادسها: أنه قال: "وَالطَّيرَ مَحشُورةً" وقيل: إنه كان محرما عليه صيد شيء من الطير، وكيف يعقل أن يكون الطير آمنًا منه، ولا ينجو منه الرجل المسلم على روحه ومنكوحه؟!

سابعها: أنه تعالى شد ملكه بما يقوي الدين وأسباب سعادة الآخرة، والمراد تشديد ملكه في الدين والدنيا، ومن لا يملك نفسه عن القتل والفجور كيف يليق به ذلك؟!

ثامنها: كيف يجوز أن يؤتيه الحكمة وفصل الخطاب، مع إصراره على ما يستنكف عنه الخبيث الشيطان من مزاحمة أخلص أصحابه في الروح والمنكوح؟! فهذه الصفات المذكورة قبل شرح تلك القصة دالة على براءة ساحته عن تلك الأكاذيب(١).

وفي لحاق هذه القصة ذكر الإمام الرازي ما يدل على ردها وعدم اعتبارها البتة في تفسير الآيات، ومن ذلك أن الله قال: " وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنا لَزُلْفى وَحُسْنَ مَآبٍ" وذكر هذا الكلام إنما يناسب لو دلت القصة المتقدمة على قوته في طاعة الله، أما لو كانت القصة المتقدمة دالة على سعيه في القتل والفجور، لم يكن قوله: " وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنا لَزُلْفى" لائقًا به، ومن ذلك أن الله خاطبه بقوله: "يَا داوُدُ إِنَّا جَعَلْناكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ" وهذا الخطاب يدل على براءة ساحته عن المعاصي والذنوب، وعلى شدة مصابرته على طاعة الله تعالى، أما تلك القبائح

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (٣٧٨/٢٦).

والأفعال المنكرة فيناسبها الزجر والحجر، ولا يناسبها جعله نائبًا وخليفة لنفسه فذلك البتة مما لا يليق(١).

وبناء على كل هذه الأمور يظهر لي أن ما ذهب إليه الشيخ أبو حيان هو الراجح، فهو يرى أن فتنة نبي الله داود عليه السلام لا تخرج عن كونه ظن أن دخول الخصمين عليه بهذه الطريقة، إنما هو لأجل الاعتداء عليه، ولما لم يتحقق هذا الظن، استغفر ربه من ذلك الظنّ، وخر ساجدًا لربه عظيم المنّ(٢).

ولا يعجبني ما ذهب إليه البعض أن فتنة نبي الله داود عليه السلام أنه قضى للخصم قبل أن يسمع كلام خصمه، وبعد الحكم أدرك خطأه وتاب منه؛ لأن هذا أيضًا مما يأباه السياق؛ فقد آتى الله نبيه داود عليه السلام الحكمة وفصل الخطاب، ومن كان كذلك لا يفعل ذلك.

وقد نبه الشيخ الغماري إلى أن قوله تعالى: " يَا داوُدُ إِنَّا جَعَلْناكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ"[ص: ٢٦] يدل على أن الله رضي حكمه في القضية، وأنه وفق فيها إلى إصابة الصواب، ولهذا قال احكم بالحق، أي: دم على الحكم بالحق، أما قوله تعالى: " وَلا تَتَّبِعِ الْهَوى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ"[ص: ٢٦] فلا يدل على أن داود اتبع الهوى أبدًا، وإنما المراد به الأمر بمداومة اجتناب الهوى، أي: دم على اجتناب الهوى في أحكامك، ونظير هذا قوله تعالى: " وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ المشْرِكِينَ"[القصص: ٨٧] فإن معناه: دم على توحيدك، واجتناب الشرك؛ لأن النبي معصوم من الشرك ومن المعاصي(٣).

*****

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (٣٧٩/٢٦).
(٢) ينظر: البحر المحيط (١٥١/٩).
(٣) ينظر: بدع التفاسير صـ ١١٠.

المثال السابع عشر: قال تعالى: " فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قالَ يا بُنَيَّ إِنِّي أَرى فِي الْمَنامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرى قالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ"[الصافات: ١٠٢].

معنى الآية: فلما بلغ إسماعيل أن يسعى مع أبيه في أشغاله وقضاء حوائجه، قال له: يا بنى، إني رأيت في المنام أنى أذبحك فما رأيك؟ قال: يا أبتِ، سميعًا دعوتَ، ومن مجيب طلبتَ، وإلى راض ببلاء الله وقضائه توجهت، فما عليك إلا أن تفعل ما تؤمر به، وما عليّ إلا الانقياد وامتثال الأمر، ستجدني إن شاء الله من الصابرين على القضاء، غير ضجر ولا برم بما قضى الله وقدر(١).

وذكر شيخ المفسرين الطبري أن الذبيح إسحاق(٢)، وهذا مما يأباه السياق لما يلي:

أولًا: أن الله تعالى استجاب دعاء نبيه إبراهيم عليه السلام، حين طلب الولد الصالح من رب العالمين، فبشره ربه بالغلام الحليم، وأول مولود له هو إسماعيل وليس إسحاق، وذلك في سياق هذا المقطع الذي وردت فيه قصة الذبح، في قوله تعالى: "وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ. رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ. فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ"[الصافات: ٩٩-١٠١].

ثانيًا: أن الله تعالى وصف إسماعيل بالحلم فقال عنه: "فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ"؛ لأنه لا حلم أعظم من حلمه حين عرض عليه أبوه الذبح، ووصف إسحاق بالعلم، فقال: " إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ"[الحجر: ٥٣].

ثالثًا: يستدل بسياق هذه الآيات أنه بشر بإسماعيل، وانقضى أمر ذبحه، ثم

---

(١) ينظر: مدارك التنزيل (١٣١/٣)، تفسير المراغي (٧٣/٢٣).

(٢) ينظر: جامع البيان (٧٢/٢١).

بشر بإسحاق بعد ذلك، وذلك في قوله تعالى: "وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ"[الصافات: ١١٢] فدل ذلك على أن الذبيح إسماعيل عليه السلام.

رابعًا: أن الله تعالى أخبر عن ذرية لإسحاق وقت البشارة به؛ فالبشارة بإسحاق اقترنت بأن من ورائه يعقوب، فلو قيل له في صباه اذبحه لناقض ذلك البشارة بيعقوب، ففي سورة هود أخبر عن يعقوب، قال الله عز وجل: "وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ"[هود: ٧١]، وفي هذا المقطع أخبر عن ذرية يعقوب، قال الله سبحانه: "وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ"[الصافات: ١١٣]، أي: ومن ذرية إبراهيم وإسحاق عليهما السلام، فكيف يبشر بذرية له ثم يأمر بذبحه؟!

خامسًا: ورد في سياق القصة في سور القرآن الكريم وصف إسماعيل عليه السلام بالصبر في قوله: "وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ" [الْأَنْبِيَاءِ: ٨٥] وذلك صبره على الذبح، ووصفه أيضًا بصدق الوعد في قوْله: "وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كانَ صادِقَ الْوَعْدِ" [مَرْيَمَ: ٥٤] وذلك لأنه وعد أباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى به[(١)].

*****

المثال الثامن عشر: قوله تعالى: " مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ. بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَانِ. فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ"[الرحمن١٩-٢٢]

معنى الآيات: أن الله تعالى ذكر عظيم قدرته، حيث خلق البحرين العذب والمالح، يلتقيان ثم لا يختلط أحدهما بالآخر، بينهما حاجز من قدرة الله تعالى، فلا يبغي المالح على العذب فيفسده، ولا العذب على المالح فيختلط به، يخرج

(١) أفدت هذه النقاط الخمس من: الكشاف (٥٦/٤)، المحرر الوجيز (٤٨٠/٤)، مفاتيح الغيب (٣٤٦/٢٦).

منهما كبار الدرّ وصغاره(١).

وذكر الإمام الطبري قولين في المراد بالبحرين، أولها: أنهما بحران أحدهما في السماء والآخر في الأرض، وثانيها: أنهما بحر فارس وبحر الروم، ثم رجح الرأي الأول؛ وذلك لأن الله قال: "يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ" واللؤلؤ والمرجان إنما يخرج من أصداف بحر الأرض عن قطَرْ ماء السماء، فمعلوم أن ذلك بحر الأرض وبحر السماء(٢).

وذكر الإمام الثعلبي أقوالًا كثيرة في تفسير الآيات الكريمة، منها الأقوال الثلاثة السابقة. وقيل: البحران علي وفاطمة، بينهما برزخ هو محمد صلى الله عليه وسلم، يخرج منهما الحسن والحسين. وقيل: معرفة القلب ومعصية النفس، بينهما برزخ الرحمة والعصمة، لا يبغيان: لا تؤثر معصية النفس في معرفة القلب، وقيل: بحر النجاة وهو القرآن من تعلق به نجا، وبحر الهلاك وهو الدنيا من تمسك بها وركن إليها هلك، وقيل: بحر الدنيا والعقبى، بينَهما بَرزخ وهو القبر لا يَبغيان لا يحل أحدهما بالآخر. وقيل: بحر العقل والهوى بينهما برزخ: لطف الله تعالى، يَخْرُج مِنْهمَا التوفيق والعصمة. وقيل: بحر الحياة وبحر الوفاة، بينهما برزخ وهو الأجل. وقيل: بحر الحجة والشبهة، بينهما برزخ وهو النظر والاستدلال يَخرُج مِنْهمَا الحق والصواب.

والقول الأول قول جمهور المفسرين، وهو الأنسب للسياق، وما سواه من الأقوال مردود بدلالة السياق القرآني للأسباب الآتية:

أولًا: أن القولين اللذين ذكرهما الإمام الطبري يتعارضان مع آيتين وردتا في كتاب الله تعالى عن هذين البحرين، أولاهما: قوله تعالى: " وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ

---

(١) ينظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٤/٢٢٠).

(٢) ينظر: جامع البيان (٢٣/٢٩).

الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا"[الفرقان: ٥٣]، والثانية: قوله عز وجل: " وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ"[فاطر: ١٢] والقرآن الكريم يشبه بعضه بعضًا، ويفسر بعضه بعضًا(١).

ثانيًا: رد الحافظ ابن كثير ترجيح شيخ المفسرين من خلال دلالة سياق المقطع القرآني؛ فبين أنه ترجيح لا يساعده اللفظ؛ فإنه تعالى قد قال: "بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَانِ" وهو الحاجز من الأرض؛ لئلا يبغي هذا على هذا، وهذا على هذا، فيفسد كلٌّ منهما الآخر، ويزيله عن صفته التي هي مقصودة منه، وما بين السماء والأرض لا يسمى برزخًا وحجرًا محجورًا(٢).

ثالثًا: حكم القاضي ابن عطية على الأقوال التي تفرد بها الإمام الثعلبي بأنها ألغاز وأقوال باطنة لا يجب أن يلتفت إلى شيء منها اهـ

أقول: أحسن القاضي لا سيما وقد بين الإمام البقاعي أن مقصود السورة الكريمة الدلالة على عظيم الملك وتمام الاقتدار، بعموم رحمته تعالى وسبقها لغضبه، المدلول عليه بكمال علمه، اللازم عنه شمول قدرته، المدلول عليه بتفصيل عجائب مخلوقاته وبدائع مصنوعاته (٣).

رابعًا: ذكر الإمام الألوسي قول من قال: البحران علي وفاطمة، بينهما برزخ هو محمد صلى الله عليه وسلم، يخرج منهما الحسن والحسين. ثم عقّب قائلًا: "والذي أراه أن هذا إن صح ليس من التفسير في شيء، بل هو تأويل كتأويل المتصوفة لكثير من الآيات، وكلٌّ من عليّ وفاطمة رضي الله تعالى عنهما

---

(١) ينظر: حاشية الشهاب (١٣٢/٨)، محاسن التأويل (١٠٤/٩).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٤٥٥/٧).

(٣) المحرر الوجيز (٢٢٧/٥)، نظم الدرر (١٣٩/١٩).

عندي أعظم من البحر المحيط علمًا وفضلًا، وكذا كلٌّ من الحسنين رضي الله تعالى عنهما أبهى وأبهج من اللؤلؤ والمرجان بمراتب"(١).

خامسًا: ذكر الشيخ محمد رشيد رضا في تفسير قوله تعالى: "هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ..."[يونس: ٢٢] جانبًا من الإشارات العلمية، التي تؤكد حمل هذه الآيات وغيرها على الحقيقة لا على المجاز والألغاز، فقال ما ملخصه: "ساق الله تعالى نسخة من ترجمة القرآن العظيم باللغة الإنكليزية إلى بارجٍ من ربَابين البواخر الكبرى، التي تمخر البحار بين إنكلترة والهند، فرأى فيها ترجمة هذه الآية فراعته بلاغة وصفها لطغيان البحر واصطخابه، وما تفعله الرياح الموسمية العاتية بالبواخر والبوارج العظيمة في المحيط الهندي في فصل الصيف، فطفق يتأمل سائر الآيات في وصف البحر، والسفائن الكبرى فيه التي وجدت في هذا العصر، ولم يكن لها نظير في عصر النبي – صلى الله عليه وسلم – كقوله تعالى: "مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ" (٥٥: ١٩ – ٢٤) ورأى أن المترجم الإنكليزي ينقل عن أشهر تفاسير القرآن لبعض علماء المسلمين، التي ألفت بعد افتتاح العرب للممالك واستيلائهم على البحار، وأنهم لم يكونوا يعرفون ما عرفه الإنكليز وغيرهم من بعدهم، أن اللؤلؤ والمرجان يخرج من البحار الحلوة كما يخرج من البحار المالحة، فتأولوا قوله تعالى: "يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ" بأنه يخرج من مجتمعهما الصادق بأحدهما؛ لأنه بزعمهم يخرج من البحر الملح فقط، غافلين عن قوله تعالى: "وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا" (٣٥: ١٢) ونبّه نظرَه تشبيهُ الجواري المنشآت بالأعلام في هذه الآية

(١) روح المعاني (١٠٦/١٤).

وفي قوله تعالى: "وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ. إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ" (٤٢: ٣٢، ٣٣) والعَلَم الجبل، وأصلها أعلام الطريق العالية التي تُعرف بها المسالك، أطال الفكر هذا الربان الإنكليزي في هذه الآيات فتعمد أن يعرف بعض المسلمين في بعض ثغور الهند، فسألهم أتعلمون أن نبيكم محمدًا – صلى الله عليه وسلم – سافر في البحار؟ قالوا: لا، إنه لم يُرو عنه أنه سافر في البحر قط؛ فاعتقد أن ما في القرآن مما ذكر، لم يكن إلا بوحي من الله تعالى لهذا النبي العظيم، وأعظم منه ما فيه من آيات التوحيد والتشريع والتهذيب، التي هي أكمل وأقرب إلى العقل والفكرة من كل ما في التوراة والإنجيل، فأسلم عن علم وبصيرة، وظل زمنًا طويلًا يتعبد بما يفهمه من ترجمة القرآن، حتى أتيح له ترك عمله في البحار، فأقام في مصر، وتعلم العربية، وعاشر فضلاء المصريين، وهو مستر عبد الله بِرَاون –رحمه الله تعالى– وأنا قد أدركته وعرفته، ولا يزال في مصر من يعرفه، وقد ضرب الأستاذ الإمام به المثل في صلاته، التي كان يصليها في البحر بقدر ما يفهم من القرآن، بكل خشوع وتوجه إلى الله تعالى ..."[(١)].

*****

المثال التاسع عشر: قوله تعالى: " فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ. وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ. إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ. فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ. لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ. تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ"[الواقعة: ٧٥–٨٠].

معنى الآيات: أقسم بمواقع النجوم، وإنه لقسم عظيم، ولكنكم لا تعلمون قيمته، إن هذا الذي يتلوه عليكم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لقرآن كريم،

(١) تفسير القرآن الحكيم=تفسير المنار (٢٧٩/١١).

في كتاب مصون وهو اللوح المحفوظ، لا يمسه أحدٌ إلا الملائكة المطهرون(١).

وقد ذكر الإمام الزمخشري أن إدخال "لا" النافية على فعل القسم مستفيض في كلام العرب وأشعارهم، وفائدتها توكيد القسم، وقالوا إنها صلة، مثلها في "لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتابِ"[الحديد: ٢٩] والوجه أن يقال: هي للنفي، والمعنى في ذلك أنه لا يقسم بالشيء إلا إعظامًا له، يدلك عليه قوله تعالى: "فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ"، فكأنه بإدخال حرف النفي يقول: إنّ إعظامي له بإقسامي به كلا إعظام، يعنى أنه يستأهل فوق ذلك. وقيل: إن "لا" نفيٌ لكلام وردٌّ له قبل القسم(٢).

وذكر العلامة ابن هشام اختلاف العلماء في "لا" في مواضع من التنزيل، فقال بعضهم: هي نافية، والقائلون بأنها نافية اختلفوا في منفيها على قولين: أحدهما: أنه شيء تقدم، وهو ما حُكي عنهم كثيرًا من إنكار البعث، فقيل لهم: ليس الأمر كذلك، ثم استؤنف القسم، قالوا: وإنما صح ذلك لأن القرآن كله كالسورة الواحدة، ولهذا يذكر الشيء في سورة، وجوابه في سورة أخرى، نحو " وَقَالُوا يَا أَيهَا الَّذِي نزل عَلَيْهِ الذّكر إِنَّك لمَجْنُون"[الحجر: ٦]، وجوابه: " مَا أَنْت بِنِعْمَة رَبك بمجنون"[القلم: ٢].

والثاني: أن منفيها أقسم، وذلك على أن يكون إخبارًا لا إنشاء، واختاره الزمخشري، قال: والمعنى في ذلك أنه لا يقسم بالشيء إلا إعظامًا له، بدليل "فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ. وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ" فكأنه قيل: إن إعظامه بالإقسام به كلا إعظام، أي إنه يستحق إعظامًا فوق ذلك.

وقيل: هي زائدة، واختلف هؤلاء في فائدتها على قولين: أحدهما: أنها زيدت

---

(١) التفسير الوسيط (١٤/١٨٣).

(٢) ينظر: الكشاف (٤/٦٥٨).

توطئة وتمهيدًا لنفي الجواب، والتقدير: لا أقسم بيوم القيامة لا يُتركون سدًى، ومثله:" فَلَا وَرَبك لَا يُؤمنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوك فِيمَا شجر بَينهُم"[النساء: ٦٥] والثاني: أنها زيدت لمجرد التوكيد وتقوية الكلام، كما في "لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتابِ"[الحديد: ٢٩][١].

واختيار الإمام الزمخشري اختيار وجيه يناسب السياق، فمنفي "لا" أقسم، ويكون الكلام من باب الإخبار لا من باب الإنشاء؛ لأن جعل الكلام من باب الإنشاء، وحمل النفي على نفي القسم أصلًا، أي: أن الله لا يقسم لأن الأمر المقسم عليه أوضح من أن يحتاج إلى قسم، هذا يأباه السياق؛ لاجتماع النفي والإثبات على محل واحد، وهذا مما ترفضه العقول المستقيمة؛ إذ كيف ينفى القسم، ثم يثبت أنه قسم عظيم؟!

حكى الإمام الألوسي قول أبي مسلم الأصفهاني[٢] أن الكلام على ظاهره المتبادر منه، والمعنى لا أقسم؛ إذ الأمر أوضح من أن يحتاج إلى قسم، أي لا يحتاج إلى قسمٍ ما، فضلًا عن هذا القسم العظيم[٣].

وقد تعقب العلامة أبو السعود قول أبي مسلم؛ فقال: "وأما ما قيل من المعنى فلا أقسم؛ إذ الأمر أوضحَ من أنْ يحتاجَ إلى قسمٍ، فيأباه تعيينُ المقسَمِ به، وتفخيمُ شأنِ القسمِ به"[١].

---

(١) ينظر: مغني اللبيب صـ ٣٢٨.

(٢) محمد بن بحر الأصفهاني، من أهل أصفهان، معتزلي، من كبار الكتاب، كان عالما بالتفسير وبغيره من صنوف العلم، ولي أصفهان وبلاد فارس للمقتدر العباسي، واستمر إلى أن دخل ابن بويه أصفهان سنة ٣٢١ هـ فعزل، وتوفي ٣٢٢هـ ينظر: معجم الأدباء (٢٤٣٧/٦)، الأعلام للزركلي (٥٠/٦).

(٣) ينظر: روح المعاني (١٥١/١٤).

لكن الإمام الألوسي لم يعجبه تعقب العلامة؛ فذكر أن قول العلامة ناشئ عن الغفلة، فقال: "فقول مفتي الديار الرومية أنه يأباه تعيين المقسم به وتفخيمه ناشئ عن الغفلة على ما لا يخفى على فطن"(٢).

ويظهر لي أن تعقب العلامة لأبي مسلم تعقب صائب؛ لأن الله تعالى أكد الجملة القسمية بقوله تعالى: " وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ"، وقد ذكر العلامة أن هذه الآية الكريمة اعتراضٌ في اعتراضٍ، قُصدَ به المبالغةُ في تحقيق مضمون الجملة القسمية وتأكيدِه؛ حيث اعترضَ بقوله: "وإنَّه لقَسَمٌ" بين القسمِ وجوابِه، الذي هُو قولُه تعالى: "إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ"، وبقوله تعالى: لَوْ تَعلَمُونَ" بينَ الموصوفِ " لقَسَمٌ" وصفتِه "عَظِيمٌ"(٣).

*****

المثال العشرون: قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ"[التحريم: ١].

ورد في سبب نزول الآية ما أخرجه الإمام البخاري بسنده عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب عسلًا عند زينب بنت جحش، ويمكث عندها، فتواطيت(٤) أنا وحفصة على أيتنا دخل عليها فلتقل له: أكلت مغافير(٥)، إني أجد منك ريح مغافير، قال: "لا،

---

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم (١٩٩/٨).

(٢) ينظر: روح المعاني (١٥١/١٤).

(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم (١٩٩/٨).

(٤) أصله تواطأت أي اتفقت اهـ شرح النووي على مسلم (٧٤/١٠).

(٥) المغافير جمع مغفور، والمغفور صمغ حلو له رائحة كريهة اهـ فتح الباري لابن حجر (٣٧٧/٩).

ولكني كنت أشرب عسلًا عند زينب بنت جحش، فلن أعود له، وقد حلفتُ، لا تخبري بذلك أحدًا"(١).

والمعنى: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: يا أيها النبيّ المحرّم على نفسه ما أحلّ الله له، يبتغي بذلك مرضاة أزواجه، لم تحرّم على نفسك الحلال الذي أحله الله لك، تلتمس بتحريمك ذلك مرضاة أزواجك(٢).

ومن بدع التفاسير قول الزمخشري في تفسير الآية: " لمَ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ" من ملك اليمين أو العسل و "تَبْتَغِي" إما تفسير لتحرم، أو حال، أو استئناف، وكان هذا زلة منه؛ لأنه ليس لأحد أن يحرّم ما أحلّ الله؛ لأن الله عزّ وجل إنما أحلّ ما أحل لحكمة ومصلحة عرفها في إحلاله، فإذا حرّم كان ذلك قلب المصلحة مفسدة "وَاللَّهُ غَفُورٌ" قد غفر لك ما زللت فيه "رَحِيمٌ" قد رحمك فلم يؤاخذك به"(٣).

فقد حمل التحريم على اعتقاد الحلال حرامًا، وهذا خلاف الواقع؛ لأنه صلوات الله عليه لم يحرم ما أحل الله، وإنما منع نفسه من ذلك الحلال باليمين، ولم يمنع غيره من حلال، ولم يعتقد الحلال حرامًا بوجه من الوجوه.

ولا ريب أن سياق المقطع القرآني يرد ما يراه الإمام الزمخشري؛ فإن الحق سبحانه قال في الآية بعدها: " قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ"[التحريم: ٢]وقد استنبط منها الحافظ السيوطي أن من حرم على

---

(١) أخرجه الإمام البخاري، كتاب التفسير، باب "يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك..." (١٥٦/٦) ح: ٤٩١٢، وأخرجه الإمام مسلم، كتاب الطلاق، باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينو الطلاق (١١٠٠/٢) ح: ١٤٧٤.

(٢) ينظر: جامع البيان (٤٧٥/٢٣).

(٣) الكشاف (٥٦٣/٤).

نفسه، أمة أو طعامًا أو زوجة، لم تحرم عليه، وتلزمه كفارة يمين[١].

وذكر الإمام الطاهر بن عاشور أن الآية استئناف بياني، بيَّن الله به لنبيه صلى الله عليه وسلم، أن له سعة في التحلل مما التزم تحريمه على نفسه، وذلك فيما شرع الله من كفارة اليمين، فأفتاه الله بأن يأخذ برخصته في كفارة اليمين المشروعة للأمة كلها[٢].

******

(١) ينظر: الإكليل في استنباط التنزيل صـ ٢٦٩.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٣٤٧/٢٨).

الخاتمة

(نسأل الله حسنها)

وبعد؛ فهذا آخر ما تفضل الله به علي، ووفقني لكتابته في هذه الورقات، فله الحمد والفضل، أهل الثناء والمجد، فلولاه ما كنت ولا كان هذا البحث، ولم يبق لي إلا أن أذكر بعض النتائج والمقترحات فأقول – وبالله التوفيق –

أهم النتائج التي توصلت إليها:

قد توصلت من خلال معايشتي لمسائل هذا البحث إلى النتائج التالية:

أولًا: أن دلالة السياق أدق وأعم بإطلاق من دلالة السباق واللحاق؛ إذ السياق قد يكون بالسباق واللحاق جميعًا، وقد يكون بأحدهما فقط.

ثانيًا: أن دلالة السياق القرآني تتنوع إلى أربعة أنواع: دلالة سياق الآية القرآنية، ودلالة سياق المقطع القرآني، ودلالة سياق السورة القرآنية، دلالة السياق العام للقرآن الكريم.

ثالثًا: أن دلالة السياق القرآني تعد من تفسير القرآن بالقرآن، وذلك أول وأهم مصادر التفسير على الإطلاق.

رابعًا: أن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام والتابعين بإحسان اعتبروا دلالة السياق القرآني في تفسير القرآن الكريم.

خامسًا: أن العلماء قديمًا وحديثًا استخدموا دلالة السياق القرآني في تفسير القرآن الكريم، وفي ترجيح أحد الأقوال على غيرها، وفي توجيه متشابه النظم القرآني، وفي رد بدع التفاسير.

سادسًا: أن تدبر آيات القرآن الكريم وتأمل سياقها يؤدي إلى رد الأقوال الباطلة التي وردت في بعض التفاسير.

وأما أهم المقترحات:

أولًا: إعداد دراسات علمية استقرائية تبرز موقف كل مفسر من مراعاة أثر دلالة السياق القرآني أو عدم مراعاته، في تفسير القرآن الكريم، وفي الترجيح بين أقوال المفسرين، وفي رد الأقوال التي تأباها دلالة السياق القرآني.

ثانيًا: إعداد دراسات علمية تبرز أثر دلالة السياق القرآني في رد أقوال مفسري الفرق المختلفة من شيعة وخوارج ومعتزلة وغيرهم.

وبعـــــــــد؛

فهذا آخر ما من به الكريم سبحانه عليّ ويسره لي من الحديث عن أثر دلالة السياق القرآني في رد بدع التفاسير، فله الفضل والمنة، وله الحمد في الأولى والآخرة، فلولاه ما كنت ولا كان هذا الجهد، وكل نعمة فمنه وحده هو مبديها ومسديها.

ويبقى هذا الجهد بشريًّا يعتريه النقص والخطأ، مما يجعلني أقر بأن ما فيه من صواب فمن الله وحده، وما كان من نقص أو خطأ فمني ومن الشيطان، وحسبي أني اجتهدت، والخير قصدت، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

والله أسأل أن يتقبل عملي هذا بقبول حسن، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفعني به في الدنيا والآخرة، وصلى الله وسلم وبارك على سيد الخلق وحبيب الحق سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

*****

أهم المصادر والمراجع

أولًا : القرآن الكريم جل من أنزله.

ثانيًا : كتب التفسير:

– أحكام القرآن : للإمام أبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي المتوفى سنة ٥٤٣هـ[طبعة دار الكتب العلمية . بيروت ، تحقيق :محمد عبدالقادر عطا].

– أحكام القرآن: للإمام علي بن محمد بن علي، أبي الحسن الطبري، الملقب بعماد الدين، المعروف بالكيا الهراسي الشافعي المتوفى: ٥٠٤هـ تحقيق: موسى محمد علي وعزة عبد عطية [طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثانية ١٤٠٥ هـ].

– إرشاد العقل السليم : للإمام أبي السعود محمد بن محمد العمادي، المتوفى سنة ٩٨٢هـ [طبعة دار إحياء التراث العربي – بيروت].

– البحر المحيط: للإمام محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي المتوفى سنة٧٤٥هـ[طبعة دار الفكر – بيروت] ١٤٢٠هـ.

– التحرير والتنوير: للشيخ محمد الطاهر بن عاشور[طبعة الدار التونسية للنشر سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م].

– التسهيل لعلوم التنزيل: لأبي القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ) تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، ط: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ.

– تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن : لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ [ط: مؤسسة الرسالة، تحقيق أحمد

محمد شاكر، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م].

- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): لمحمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين (المتوفى: ١٣٥٤هـ) طبعة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠ م.

- تفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة٧٧٤ هـ[مؤسسة قرطبة للطبع والنشر والتوزيع ، تحقيق : مصطفي السيد محمد ، ومحمد السيد رشاد ، ومحمد فضل العجماوي ، وعلي أحمد عبد الباقي ، الطبعة الأولي ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠ م]

- تفسير القرآن العظيم مسندًا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين : للإمام الحافظ عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ابن أبي حاتم المتوفى سنة ٣٢٧هـ [طبعة مكتبة نزار مصطفى الباز. مكة المكرمة، تحقيق :أسعد محمد الطيب الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م].

- تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، ط: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.

- التفسير الوسيط للقرآن الكريم: الإمام محمد سيد طنطاوي، طبعة دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، الطبعة الأولى.

- تيسير التفسير للقراءة والفهم المستقيم: للشيخ عبد الجليل عيسى المتوفى ١٤٠١هـ طبعة الأزهر الشريف، الطبعة الثانية ١٤٤١هـ ٢٠٢٠م.

- الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المتوفى سنة٦٧١هـ [طبعة مؤسسة الرسالة، تحقيق : دكتور/عبد الله بن عبدالمحسن التركي، الطبعة الأولي ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م].

– حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِي عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (المتوفى: ١٠٦٩هـ) طبعة دار صادر – بيروت.

– روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: للإمام أبي الفضل شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي المتوفى سنة١٢٧٠هـ[طبعة دار الكتب العلمية – بيروت] الطبعة الأولى ١٤١٥هـ .

– زاد المسير في علم التفسير: للإمام جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي المتوفى: ٥٩٧هـ تحقيق: عبد الرزاق المهدي[طبعة دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ].

– الكشف والبيان عن تفسير القرآن: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبوإسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢ م

– الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل : لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري المتوفى ٥٣٨هـ ط: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ.

– محاسن التأويل: لمحمد جمال الدين القاسمي المتوفى سنة ١٣٣٢هـ [طبعة دار الكتب العلمية –بيروت – الطبعة الأولى١٤١٨هـ]

– المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: للإمام أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المتوفى سنة ٥٤٦هـ [طبعة دار الكتب العلمية – بيروت، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ٢٠٠١م]

– مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي) : للإمام أبي البركات

عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي المتوفي ٧٠١هـ [ط دار الكلم الطيب . بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م

– معالم التنزيل (تفسير البغوي): للإمام محي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي المتوفى سنة ٥١٦هـ [طبعة دار طيبة للنشر والتوزيع ،تحقيق محمد عبد الله النمر ، وعثمان جمعة خميرية ، وسليمان مسلم الحرش طبعة سنة ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م]

– معاني القرآن وإعرابه: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، المتوفى:٣١١هـ. ط: عالم الكتب – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

– مفاتيح الغيب: للإمام فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي المتوفى سنة٦٠٦هـ [طبعة دار الفكر – بيروت ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠١هـ – ١٩٨١ م].

– ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل:

أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (المتوفى: ٧٠٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

– الوسيط في تفسير القرآن المجيد: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

ثالثًا : كتب علوم القرآن :

– الإتقان في علوم القرآن:للحافظ جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) [طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة ،تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم].

– أسباب النزول : لأبي الحسن علي بن أحمد الواحـدي المتوفى سنة ٤٨٦هـ، [طبعة دار الإصلاح . الدمام ،تخريج وتدقيق: عصام بن عبدالمحسن الحميدان، الطبعة الثانية ١٤١٢ هـ/١٩٩٢م]

– التبيان في أقسام القرآن: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) تحقيق: محمد حامد الفقي، طبعة دار المعرفة، بيروت، لبنان.

– مجاز القرآن: لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري (المتوفى: ٢٠٩هـ)، المحقق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجي – القاهرة ١٣٨١هـ.

– مناهل العرفان في علوم القرآن: الشيخ محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ) مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة.

– نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط ابن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ) طبعة: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

رابعًا: كتب القراءات وتوجيهها:

– البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدُّرة – للشيخ : عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي (المتوفى : ١٤٠٣هـ) [ط: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان]

– النشر في القراءات العشر: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣ هـ) تحقيق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى.

خامسًا : كتب الحديث وشروحه :

– الجامع الصحيح المختصر (صحيح البخاري): للإمام الحافظ أبي

عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي المتوفي سنة ٢٥٦هـ [دار طوق النجاة– تحقيق : محمد زهير بن ناصر– ،الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ]

– حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، طبعة: السعادة – بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م.

– سنن الترمذي: للإمام محمد بن عيسى بن سورة الترمذي المتوفى سنة ٢٧٩هـ [مطبعة مصطفى البابي الحلبي – تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون ، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م].

– صحيح مسلم للإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري المتوفي سنة ٢٦١هـ [طبعة دار إحياء التراث العربي – بيروت].

– العلل الواردة في الأحاديث النبوية: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥هـ) طبعة دار طيبة – الرياض. الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م.

– فتح الباري بشرح صحيح البخاري: لابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ [ط: دار المعرفة بيروت، تحقيق: الشيخ عبد العزيز بن باز ، الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي، الشيخ محب الدين الخطيب]

– المستدرك على الصحيحين: للإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري المتوفى سنة٤٠٥هـ[دار الكتب العلمية – بيروت، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ،الطبعة الأولى ١٤١١هـ/١٩٩٠م]

– مسند الإمام أحمد بن حنبل: لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة

الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

– المعجم الكبير: للإمام سليمان بن أحمد بن أيوب أبي القاسم الطبراني ، المتوفى سنة٣٦٠هـ – تحقيق: حمدي بن عبد المجيد، ط: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية.

سادسًا: كتب التخريج:

– مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: للإمام نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ،المتوفى سنة٨٠٧هـ [مكتبة القدسي – القاهرة – ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م]

– الموضوعات: للإمام العلامة أبى الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزي القرشي المتوفى سنة ٥٩٧هـ [طبعة المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ،تحقيق : عبد الرحمن محمد عثمان، الطبعة الأولى ١٣٨٦ هـ/ ١٩٦٦م].

سابعًا: المعاجم:

– أساس البلاغة: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود، طبعة: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

– الصحاح [تاج اللغة وصحاح العربية]: إسماعيل بن حماد الجوهري المتوفى سنة ٣٩٣هـ [طبعة دار العلم للملايين بيروت ،تحقيق :أحمد عبدالغفور عطار ، الطبعة الرابعة١٤١٠هـ /١٩٩٠م.

– الفائق في غريب الحديث والأثر: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) تحقيق: علي محمد البجاوي –محمد أبوالفضل إبراهيم، طبعة: دار المعرفة – لبنان، الطبعة الثانية.

– لسان العرب: للإمام العلامة جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري الإفريقي المصري المتوفى سنة ٧١١هـ [طبعة دار صادر –

بيروت ،الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ].

- النهاية في غريب الحديث والأثر: لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، المتوفى سنة٦٠٦هـ [ط المكتبة العلمية - بيروت، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي و محمود محمد الطناحي ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م]

ثامنًا: كتب التراجم:

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد ابن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، طبعة: دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

- أسد الغابة في معرفة الصحابة: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى ٦٣٠هـ)، طبعة: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

- الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، مايو ٢٠٠٢م.

- تذكرة الحفاظ: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

- تهذيب التهذيب: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، مطبعة دائرة المعارف النظامية بالهند، الطبعة الأولى ١٣٢٦هـ.

- تهذيب الكمال في أسماء الرجال: يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبوالحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي

(المتوفى: ٧٤٢هـ) تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.

- سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ابن قَايْماز الذهبي (المتوفى : ٧٤٨هـ)، طبعة : مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ.

- الطبقات الكبرى: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، طبعة: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

- ميزان الاعتدال في نقد الرجال: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، طبعة: دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت، الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ – ١٩٦٣م.

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، طبعة: دار صادر – بيروت.

تاسعًا: كتب متنوعة:

– الإمام في بيان أدلة الأحكام: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبدالسلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ)، الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

– بدع التفاسير: لأبي الفضل عبد الله محمد الصديق الغماري، نشر: دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

– تيسير شرح الملوي على السلم: للشيخ أحمد بن عبد الفتاح بن يوسف بن عمر الشهير بالملوي المتوفى ١١١١هـ طبعة الأزهر الشريف ٢٠١٧م.

– دراسات في مناهج المفسرين: للأستاذ الدكتور إبراهيم عبد الرحمن خليفة، طبعة مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٤٠هـ ٢٠١٨م.

– السياق القرآني وأثره في التفسير دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير: عبد الرحمن عبد الله سرور المطيري، رسالة ماجستير نوقشت ١٤٢٩هـ٢٠٠٨م.

– الشفا بتعريف حقوق المصطفى: أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (المتوفى: ٥٤٤هـ)،طبعة: دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م.

– مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: لعبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبدالله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله، الناشر: دار الفكر – دمشق، الطبعة السادسة ١٩٨٥م.

******

SOURCE AND REFERENCES

First of all, the Holy Qur'an is the one who sent it down.
Second: Books of interpretation:

-The provisions of the Qur'an : for Imam Abu Bakr Muhammad ibn Abdullah, known as the son of the Arab, who died in 543 Ah[edition of the House of scientific books-Beirut, Investigation :Muhammad Abdulkader Atta.[

-The rulings of the Qur'an: by Imam Ali ibn Muhammad ibn Ali, Abu al-Hassan al-Tabari, nicknamed Imad al-Din, known as the Al-Harasi Shafi'i, deceased: 504 Ah investigation: Musa Muhammad Ali and Aza Abd Atiyah [edition of the House of

scientific books, Beirut, second edition: 1405 Ah.[

-Guidance of the sound mind: for Imam Abu Al-Saud Muhammad ibn Muhammad Al-Emadi, who died in 982 Ah [edition of the House of revival of Arab heritage – Beirut.[

-The surrounding sea: by Imam Muhammad ibn Yusuf, known as Abu Hayyan Al-Andalusi, who died in 745 Ah[Dar Al-Fikr edition-Beirut] 1420 Ah.

-Liberation and enlightenment: by Sheikh Mohammed Al-Taher Bin Ashour[edition of the Tunisian publishing house in 1405 Ah/1984 ad .[

-Facilitation of download Sciences: for Abu Al-Qasim, Muhammad bin Ahmed bin Muhammad bin Abdullah, ibn Jazi Al-kalbi Al-gharnati (deceased: 741 Ah) investigation: Dr. Abdullah Al-Khalidi, I: Dar Al-Arqam bin Abi Al-Arqam company-Beirut, first edition-1416 Ah.

- Tafsir al-Tabari, called the collector of the statement in the interpretation of the Quran: for Abu Ja'far Muhammad Bin Jarir al-Tabari, who died in 310 Ah [I: the foundation of the message, Ahmad's investigation
Muhammad Shaker, first edition, 1420 Ah - 2000 AD.[

-Tafsir al-Quran Al-Hakim (Tafsir al-Manar): by Mohammed Rashid bin Ali Reda bin Mohammed Shams al-Din bin Mohammed Baha Al-Din (deceased: 1354 Ah) edition: Egyptian General Authority for the book 1990 ad.

-Interpretation of the great Qur'an: by Abu al-Fida ' Ismail Ibn Omar Ibn Kathir al-Qurashi Al-damashki, who died in 774 Ah[Cordoba Foundation for printing, publishing and distribution, investigation: Mustafa al-Sayed Muhammad, Muhammad al-Sayed Rashad, Muhammad Fadl al-ajmawi, Ali Ahmed Abdul Baqi, first edition 1421 Ah/ 2000 AD[

-Interpretation of the great Qur'an in support of the messenger of Allaah (peace and blessings of Allaah be upon him), companions and followers : by Imam Al-Hafiz Abdul Rahman Bin Muhammad Bin Idris al-Razi ibn Abi Hatem, who died in 327 Ah [Nizar Mustafa al-Baz Makkah Library Edition, investigation :Asaad Muhammad al-Tayeb first edition 1417 Ah/1997 ad.[

-Interpretation of al-Maraghi: Ahmed bin Mustafa al-Maraghi

(deceased: 1371 ah), i: Mustafa al - Babi al-Halabi and sons library and printing company in Egypt, first edition 1365 Ah-1946 ad.

-Intermediate interpretation of the Holy Quran: Imam Muhammad Sayed Tantawi, edition of the Renaissance House of Egypt for printing, publishing and distribution, Al – fajala-Cairo, first edition.

-Facilitating interpretation for reading and straight understanding: by Sheikh Abdul Jalil Isa, deceased, 1401H, Al-Azhar Al-Sharif edition, second edition, 1441h, 2020g.

-The collector of the provisions of the Qur'an: by Abu Abdullah Muhammad bin Ahmed Al-Ansari Al-qurtabi, who died in the year 671 Ah [edition of the message Foundation, investigation : Dr. Abdullah bin Abdulmohsen Al-Turki, initial edition 1427 Ah-2006.[

-Al-Shihab's footnote on the interpretation of the Oval, called: the attention of the judge and the sufficiency of the satisfied on the interpretation of the Oval: Shihab al – Din Ahmed bin Muhammad Bin Omar al-Khafaji Egyptian Hanafi (deceased: 1069 Ah) edition of Sadr House-Beirut.

-The spirit of meanings in the interpretation of the great Qur'an and the seven muthani: by Imam Abu al – Fadl Shihab al-Din Mahmoud al-Alusi al-Baghdadi, who died in 1270 Ah[edition of the House of scientific books-Beirut] first edition 1415 Ah.

-Zad Al-maseer in the science of interpretation: by Imam Jamal al-Din Abu Al-Faraj Abdul Rahman Bin Ali bin Muhammad al-Jawzi deceased: 597 Ah investigation: Abdul Razzaq Al-Mahdi [edition of the Arabic book House-Beirut first edition 1422 Ah.[

-Disclosure and statement on the interpretation of the Koran: Ahmed bin Mohammed bin Ibrahim al-thaalabi, Abu Ishaq (d.: 427 Ah), I: House of revival of Arab heritage, Beirut-Lebanon First Edition 1422 Ah-2002 ad

-Revealing the facts of the mysteries of downloading and the eyes of gossip : by Abu Al – Qasim Mahmoud bin Omar al-zamakhshari, deceased 538 ah: the House of the Arab book-Beirut, the third edition 1407 Ah.

-The advantages of interpretation: by Muhammad Jamal al-Din

Al-Qasimi, who died in 1332 Ah [edition of the House of scientific books-Beirut-first edition 1418 Ah[

-The brief editor in the interpretation of the Dear Book: by Imam Abu Muhammad Abdul Haq bin Ghalib Bin Attiya Al-Andalusi, who died in 546 Ah [edition of the House of scientific books-Beirut, investigation: Abdul Salam Abdul Shafi Muhammad, first edition 1422 Ah 2001 ad [

-Download Madrak and the facts of interpretation (nasafi interpretation): for Imam Abu al-Barakat

Abdullah bin Ahmed bin Mahmoud al-nesfi, deceased 701 Ah [I Dar Al-Kalm al-Tayeb-Beirut, first edition 1419 Ah - 1998 ad

-Download milestones (Tafsir al-baghawi): by Imam Muhi al-Sunnah Abi Muhammad al-Hussein bin Massoud Al-baghawi, who died in 516 Ah [Taiba publishing and distribution house edition, investigation of Muhammad Abdullah al-Nimr, Othman Juma khmeriya, and Suleiman Muslim al-Harash edition of 1409 Ah/1989 ad[

–Meanings of the Quran and its expression: Ibrahim ibn al - Sari Ibn Sahl,Abu Ishaq Al-glass, deceased:311 Ah, - I: the world of books-Beirut, first edition 1408 Ah-1988 ad.

-The keys of the unseen: by Imam Fakhr al-Din Muhammad Bin Omar al-Tamimi al-Razi Al-Shafi'i, who died in 606 Ah [edition of Dar Al - Fikr-Beirut, first edition in 1401 Ah-1981 ad.[

-The angel of categorical interpretation with atheism and disruption in the guidance of the like-worded from the I-download:

Ahmad ibn Ibrahim ibn Zubayr Al-Thaqafi Al-gharnati, Abu Jafar (d.708 Ah), publisher: House of scientific books Beirut – Lebanon.

-The mediator in the interpretation of the Glorious Qur'an: Abu al – Hassan Ali bin Ahmed bin Mohammed bin Ali al-Wahidi, Al-naisaburi Shafi'i (d.: 468 Ah), investigation and commentary: Sheikh Adel Ahmed Abdulmajid and others, edition of the House of scientific books, Beirut-Lebanon.

Third: the books of Quranic Sciences:

-Mastery in the sciences of the Qur'an:by Governor Jalal al-Din al-Suyuti (d.911 Ah) [edition of the Egyptian General Authority

for the book-Cairo, Investigation: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim.[

-The reasons for the descent: for Abu al-Hassan Ali bin Ahmed al-Wahidi, who died in 486 Ah , [edition of Dar Al-Islah - Dammam, graduation and revision: Essam bin Abdul Mohsen Al-Humaidan, second edition 1412 Ah/1992 ad[

-Explanation in the sections of the Quran: Muhammad ibn Abi Bakr ibn Ayyub Ibn Saad Shams al-Din ibn Qayyim Al-jawziya (d.751 Ah) Investigation: Muhammad Hamid al-Faqi, edition of Dar Al-marefa, Beirut, Lebanon.

-The metaphor of the Koran: by Abu ubayda Muammar bin Muthanna al-Timi al-Basri (deceased: 209 Ah), investigator: Mohammed Fawad sazgin, Al – Khanji library-Cairo 1381 Ah.

-Manahil Al-Irfan in the sciences of the Quran: Sheikh Muhammad Abdul Azim Al-zarqani (deceased: 1367 Ah) Isa Al-Babi al-Halabi & co., third edition.

-Organized the lessons in proportion to the verses and surahs: Ibrahim Ibn Omar Ibn Hassan Rabat ibn Ali ibn Abi Bakr al-Baqai (d.885 Ah) edition: Islamic Book House, Cairo.

Fourth: reading books and their guidance:

-Al-Badoor Al-Zahra in the ten frequent readings from the shatibiya and Durra roads-by Sheikh: Abdul Fattah bin Abdul Ghani bin Muhammad Al-Qadi (deceased : 1403 Ah) [I: the House of the Arabic book, Beirut-Lebanon[

-Publishing in the ten readings: Shams al-Din Abu Al-Khair Ibn al-Jazari, Muhammad ibn Muhammad ibn Yusuf (d.: 833 Ah) investigation: Ali Muhammad al-Dabaa, the great commercial printing press.

Fifth: Hadith books and explanations:

-The brief correct mosque (Sahih al-Bukhari): for Imam Al-Hafiz Abi

Abdullah Muhammad Bin Ismail al-Bukhari Al-jaafi, who died in 256 Ah [Dar Al-Taqat Al-Najat-Investigation: Muhammad Zuhair bin Nasser -, first edition 1422 Ah[

-The ornament of the Guardians and the layers of the faithful: Abu Naeem Ahmed bin Abdullah bin Ahmed bin Ishaq bin Musa bin Musa bin Mehran Al - asbhani (deceased: 430 Ah), edition:

happiness - next to the governorate of Egypt, 1394 Ah-1974 AD.

-Sunan al-Tirmidhi: by Imam Muhammad ibn Isa ibn Surah al-Tirmidhi, who died in 279 Ah [Mustafa al-Babi al-Halabi Press-investigation by Ahmad Muhammad shaker and others, second edition 1395 Ah-1975 ad.[

-A true Muslim of Imam Al-Hafiz Abu al-Hussein Muslim Ibn Al-Hajjaj al-nisaburi, who died in 261 Ah [edition of the House of revival of Arab heritage – Beirut.[

-The ills contained in the hadiths of the Prophet: Abu al-Hassan Ali Bin Omar bin Ahmed bin Mahdi bin mas'ud bin al-Nu'man bin Dinar al-Baghdadi al-daraktani (deceased: 385 Ah) edition of Dar Taybah - Riyadh. First edition 1405 Ah-1985 ad.

-Al-Bari opened with a correct explanation of al-Bukhari: for Ibn Hajar al-Asqalani, who died in 852 Ah [I: House of knowledge Beirut, investigation: Sheikh Abdul Aziz Bin Baz, Sheikh Mohammed Fuad Abdul Baqi, Sheikh Mohab al-Din al-Khatib [

-Al-mustadraq Ali al-sahiheen: for Imam Abu Abdullah Muhammad ibn Abdullah, the ruler of naisaburi, who died in the year 405 Ah[House of scientific books-Beirut, investigation: Mustafa Abdulkader Atta, first edition 1411 Ah / 1990 ad [

-The Musnad of Imam Ahmed bin Hanbal: for Abu Abdullah Ahmed bin Mohammed bin Hanbal bin Hilal Bin Asad Al-Shaibani (deceased: 241 Ah), investigator: Shoaib Al-Arnout-Adel Morshed, and others, supervision: Dr. Abdullah bin Abdul Mohsen al-Turki, publisher: Foundation
The letter, first edition 1421h-2001g.

-The great lexicon: by imam Suleiman bin Ahmed bin Ayyub Abi Al-Qasim al-tabrani, deceased in the year 360 Ah - investigation: Hamdi bin Abdul Majid, I: Ibn Taymiyyah library – Cairo, second edition.

Sixth: graduation books:

-The complex of appendages and the source of benefits: by Imam Nour al-Din Ali ibn Abi Bakr al-haythmi, deceased in the year 807 ah [al-Qudsi library-Cairo-1414 Ah-1994 ad[

-Topics: by Imam Allama Abu Faraj Abdul Rahman Bin Ali bin Al-Jawzi al-Qurashi, who died in 597 Ah [edition of the Salafi library in Medina, investigation: Abdul Rahman Muhammad

Othman, first edition 1386 Ah / 1966 ad.[Seventh: dictionaries:

-The basis of eloquence: Abu Al-Qasim Mahmoud bin Amr bin Ahmed, zamakhshari Jarallah (deceased: 538 Ah) Investigation: Muhammad basil Oyoun Al – sudood, edition: House of scientific books, Beirut - Lebanon, First Edition 1419 Ah-1998 ad.

-Al-Sahah [the crown of the language and Arabic Sahah]: Ismail bin Hammad Al-Gohari, who died in 393 Ah [Dar Al-Alam Edition for millions Beirut, investigation: Ahmed Abdul Ghafoor Attar, fourth edition 1410 Ah /1990 ad.

-The superlative in the strange Hadith and impact: Abu Al-Qasim Mahmoud bin Amr bin Ahmed, zamakhshari Jarallah (deceased: 538 Ah) investigation: Ali Muhammad Al-Bejawi-Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, edition: Dar Al-marefa-Lebanon, second edition.

-Arabic language: for Imam Allama Jamal al-Din Abi al-Fadl Muhammad ibn Makram Ibn mansari Al-Ansari African Egyptian, who died in 711 Ah [Sadr House Edition –
Beirut, third edition 1414 Ah.[

-The end is in a strange Hadith and impact: by Abu al-Saadat Al-Mubarak bin Muhammad al-Jazari, deceased in the year 606 Ah [I Scientific Library-Beirut, investigation: Taher Ahmad al-Zawi and Mahmoud Muhammad al-tanahi 1399 Ah / 1979 ad[

Eighth: translation books:

-Assimilation in the knowledge of friends: Abu Omar Yusuf ibn Abdullah ibn Muhammad ibn Abd al – Bar Ibn Asim Al-Nimri al-Qurtubi (deceased: 463 Ah), edition: Dar Al-Jil, Beirut, first edition 1412 Ah-1992 ad.

-The Lion of the forest in the knowledge of the companions: Abu al-Hassan Ali bin Muhammad Bin Muhammad Bin Abdul Karim bin Abdul Wahid al-Shaybani Al-Jaziri, Izz al-Din ibn al-Athir (d.630 Ah), edition: House of scientific books, first edition 1415 Ah-1994 ad.

-Flags: Khair al-Din bin Mahmoud bin Mohammed bin Ali bin Fares, al-zarkali al-Dimashqi (deceased: 1396 Ah), Dar Al-Alam for millions, fifteenth edition, May 2002.

-Preservation ticket: Shams al-Din Abu Abdullah Muhammad bin Ahmed bin Othman bin qaymaz Al-dhahabi (deceased: 748 Ah), House of scientific books Beirut-Lebanon, First Edition 1419 Ah.

-Tahzib Al-Tahzib: Abu al-Fadl Ahmed bin Ali bin Mohammed bin Ahmed Bin Hajar al-Asqalani (deceased: 852 ah), the press of the regular knowledge Department in India, first edition 1326 Ah.

-Refinement of perfection in the names of men: Yusuf bin Abdul

Rahman Bin Yusuf, Abu Al – Hajjaj, Jamal al-Din ibn Al-Zaki Abu Muhammad al-qadai Al-kalbi Al-Muzi (deceased: 742 Ah) investigation: Dr. Bashar Awad Maarouf, Al-Risala Foundation-Beirut, first edition 1400 Ah. - Biography of the flags of the nobility: Shams al-Din Abu Abdullah Muhammad bin Ahmed bin Othman Ibn qaymaz Al-dhahabi (deceased : 748 Ah), edition : the foundation of the message, the third edition, 1405 Ah. - Major classes: Abu Abdullah Muhammad Bin Saad bin Monea al-Hashimi by loyalty to Basri, Baghdadi known as Ibn Saad (deceased: 230 Ah), Investigation: Muhammad Abdulqader Atta, edition: House of scientific books – Beirut, first edition 1410 Ah 1990 ad. - The balance of moderation in the criticism of men: Shams al-Din Abu Abdullah Muhammad bin Ahmed Ibn Othman bin qaimaz Al-dhahabi (deceased: 748 Ah), edition: Dar Al-marefa for printing and publishing Beirut, first edition 1382 Ah – 1963 ad. - Deaths of notables and news of the Sons of time: Abu al – Abbas Shams al-Din Ahmad ibn Muhammad ibn Ibrahim ibn Abi Bakr Ibn khalkan Al-Barmaki Al-irbali (deceased: 681 Ah), investigation: Ihsan Abbas, edition: Sadr House-Beirut. Ninth: various books: - the imam in the statement of evidence of judgments: Abu Muhammad Ezz al-Din Abdul Aziz bin Abdul Salam Bin Abi Al-Qasim bin Hassan Al-Salami Al-damasci, nicknamed Sultan Al-Ulama (deceased: 660 Ah), publisher: Dar Al – Basheer al - Islamiyya-Beirut, first edition 1407 Ah-1987 ad. - Bada Tafsir: by Abu al-Fadl Abdullah Muhammad al-Siddiq al-Ghamari, published by: Dar al-Rashad Al-Haditha, Casablanca, second edition 1406h 1986g. - Facilitating the explanation of Al-Mallawi on the ladder: by Sheikh Ahmed bin Abdul Fattah bin Yusuf bin Omar, famous for the deceased al-Mallawi, 1111 ah, Al-Azhar Al-Sharif Edition, 2017. - Studies in the curricula of interpreters: by Professor Dr. Ibrahim Abdul Rahman Khalifa, edition of the Al-Iman library for publishing and distribution, First Edition 1440h 2018g. - The Quranic context and its impact on interpretation is a theoretical and applied study through the interpretation of Ibn Kathir: Abdul Rahman Abdullah Surur Al-Mutairi, master thesis discussed 1429 Ah 2008 ad. - The definition of the rights of Mustafa: Abu al-Fadl judge Ayad bin Musa al-yahsabi (deceased: 544 Ah), edition: Dar Al - Fikr printing, publishing and distribution 1409 Ah-1988 ad. - The singer of the pulp about the books of the Arabists: by Abdullah Bin Yusuf bin Ahmed bin Abdullah ibn Yusuf, Abu Muhammad, Jamal al-Din, ibn Hisham (deceased: 761 Ah), investigation: Dr. Mazen Al-Mubarak / Mohammed Ali Hamdallah, publisher: Dar Al-Fikr-Damascus, sixth edition, 1985.

فهرس الموضوعات

رقم	الموضوع	رقم الصفحة
١	الملخص باللغة العربية.	٨٦٩
٢	Abstract	٨٧٠
٣	مقدمة	٨٧١
٤	تعريف الدلالة	٨٧٤
٥	تعريف السياق	٨٧٤
٦	دلالة سياق الآية القرآنية	٨٧٨
٧	دلالة سياق المقطع القرآني	٨٧٩
٨	دلالة سياق السورة القرآنية	٨٨٢
٩	دلالة السياق العام للقرآن الكريم	٨٨٣
١٠	أهمية دلالة السياق القرآني	٨٨٥
١١	أمثلة أثر دلالة السياق القرآني	٨٩٤
١٢	الخاتمة	٩٥٥
١٣	أهم المصادر والمراجع	٩٥٧
١٤	فهرس الموضوعات	٩٧٤

تم بحمد الله تعالى